ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

"Post-Colonial Theory"

PhD. Ragaa Khaled Hamad Othman
Modern Philosophy Department- Faculty of Women for Arts, Science and Edu, Ain Shams University, Egypt
Ragakhild81@gmail.com
Prof. Dr. Ramadan Bastawisy Mohamed
Professor of Modern Philosophy and Aesthetics-Department of Philosophy , Faculty of Women-Ain Shams University – Egypt
ramadanbst@hotmail.com
Dr. Doaa Wagdy Mohamed Fahim
Lecturer of Modern Philosophy, Philosophy Department
Faculty of Women- Ain Shams University - Egypt
doaa.wagdy.m@gmail.com

Receive Date: 14 July 2023, Revise Date: 14 October 2023
Accept Date: 21 October 2023.
DOI: 10.21608/BUHUTH.2023.222938.1532
Volume 3 Issue 11 (2023) Pp.117- 145

Abstract

In the last decades of the twentieth century, the Western arena produced new literary and critical references, of which "post-colonial theory" is considered one of the most important. As a critical political theory and due to its position in the current discourse on neo-colonialism, it is the focus of attention of those working about thought and criticism. Based on that, this research follows the subject of "Postcolonial Theory," which aims to present the main stations of the "theory." By looking at the reality of the term postcolonialism, and review the terms associated with it, And trace the historical and cultural context of its emergence, and Review the most important knowledge bases, And highlighting its most prominent pioneers, The study relied on the historical, analytical and critical approach In our tracing of the emergence of the theory and understanding its aspects,We conclude from the above: The theory is used by Third World writers to confront Western centralization; By deconstructing colonial discourse, Monitoring the relationship between power and culture, Understanding the duality of East and West, and combating the policy of Westernization, Domestication, arrogance, and rejection of one dominant culture, The study recommended that postcolonial thought consolidate its position in the Arab and Islamic world; Calling for the expansion of his studies and choosing the most appropriate methods to confront colonial policies; And the constant awareness that the European obsession and preoccupation with the Third World is constantly being renewed.the political orientations and strategic interests of the countries to which those channels belong.

***Keywords*:** postmodernism, colonialism, postcolonialism, foundations, pioneers.

النظرية ما بعد الكولونالية

رجاء خالد حمد عثمان
باحث دكتوراه قسم فلسفة معاصرة
كلية البنات للأدب والعلوم والتربية جامعة عين شمس
Ragakhild84@gmail.com

أ.د/ رمضان بسطاويسي محمد غانم
استاذ الفلسفة المعاصرة وعلم الجمال
بقسم الفلسفة كلية البنات جامعة عين شمس – مصر
ramadanbst@hotmail.com

د/ دعاء وجدي محمد فهيم
مدرس الفلسفة المعاصرة بقسم الفلسفة
بكلية البنات جامعة عين شمس – مصر
doaa.wagdy.m@gmail.com

المستخلص:

افرزت الساحة الغربية في العقود الأخيرة من القرن العشرين، مرجعيات أدبية ونقدية جديدة، تعد "النظرية ما بعد الكولونالية" من أهمها، وبوصفها نظرية نقدية سياسية ونظرا لموقعها في الخطاب الراهن حول الاستعمار الجديد، تعد محط اهتمام المشتغلين بالفكر والنقد، أنطلاقا من ذلك يتبع هذا البحث موضوع " النظرية ما بعد الكولونالية " والذي يهدف إلي تقديم المحطات الرئيسية "للنظرية"، من خلال الاطلاع علي واقع مصطلح ما بعد الكولونالية، ومعاينة المصطلحات المرتبطة به، وتتبع السياق التاريخي والثقافي لظهورها، واستعارض أهم المرتكزات المعرفية، وتسليط الضوء علي ابرز روادها، اعتمدت الدراسة علي المنهج التاريخي والتحليلي والنقدي في تتبعنا لنشاة النظرية والأحاطة بجوانبها، ونستنتج مما سبق: أن النظرية تسلح بها كتاب العالم الثالث لمجابهة التمركز الغربي، بتفكيك الخطاب الاستعماري، ورصد العلاقة بين السلطة والثقافة، وفهم ثنائية الشرق والغرب، ومحاربة سياسة التغريب، التدجين، الأستعلاء، ورفض الثقافة الواحدة المهيمنة، اوصت الدراسة أن يتحد فكر ما بعد الكولونالية مكانته في العالم العربي والإسلامي، والدعوة لتوسع دراساته، واختيار الطرق الأنسب لمجابهة السياسات الأستعمارية، والوعي الدائم بأن الهوس الأوربي وانشغاله بالعالم الثالث في تجديد دائم.

الكلمات المفتاحية: ما بعد الحداثة، الكولونالية، ما بعد الكولونالية، المرتكزات، رواد ما بعد الكولونالية.

مقدمة:

توجهت الفئة المثقفة من دول العالم الثالث نحو دراسة الآثار التي تركها الاستعمار على المستعمر إيجابية كانت أم سلبية. انطلاقا من تشكل الوعي الإنساني لدي هذه الفئة مما حفزها على تحليل الخطابات الاستعمارية. وإعادة قراءة التاريخ من جهة نظر المستعمر وهو ما يعرف بدراسات ما بعد الاستعمار، والتي هي حتمية فرضتها طبيعية العلاقة بين الشرق والغرب، حينما نصب الغرب نفسه افقا معرفيا وعلميا على تلك الشعوب المضطهدة، وامام هذا المد الغربي حاولت تلك الشعوب ان تستعيد مركزتها المفقودة، فأبدأت بتفكيك الظاهرة الاستعمارية، وكشف إرادة القوة التي تتبطن ونصوصها، فكان هذا إيذانا بترسم حقل جديد، عرف باسم "النظرية ما بعد الكولونالية" (post- "colonialism theory")، والتي تندرج ضمن الخطاب النقدي والذي يهدف إلي تحليل ما انتجته الثقافة الغربية وما تحمل من توجيهات سياسية استعمارية، كما يوحي المصطلح بوجود استعمار جديد يخالف الاستعمار القديم، ويتطلب هذا الاستعمار رؤية جديدة، لذا عملت هذه النظرية علي محاولة رصد العلاقة بين السلطة والثقافة وتتبع العملية الاستعمارية وفضح وتعرية أنساقها الأيديولوجية والثقافية والتي أدعت وحدة العلم والمعرفة وفرض الهيمنة والسيطرة من خلالها، وهذا ما جعل الإلمام بالنظرية "ما بعد الكولونالية" أمرا في غاية الصعبة فهي نظرية مترامية الأطراف، جمعت في جعبتها كوكبة من رواد الفكر والفلسفة عبر العالم ومن هنا تأتي أهمية دراستنا لهذا المسار الفكري والذي كان دافعا لخوض غمار البحث عند عتبات هذه النظرية.

طرحت رغبتنا في دراسة هذا الموضوع إشكاليات وتساؤلات أو جزئاها في قولنا:

- ما المقصود بمصطلح الخطاب؟ ومفهوم الكولونالية وما بعد الكولونالية؟
- هل المبادئة (Post) دلالات على مصطلح الكولونالية؟
- هل كان للدراسات الثقافية أدوارا في إيجاد مصطلح "ما بعد الكولونالية؟
- من أين استمد هذا التيار جذوره؟ وما هي اهم أسسه ومرتكزاته؟ ومن هم أهم رواده؟

ولمعالجة هذه الإشكاليات اعتمدنا بعض طروحات الاتجاه ما بعد الكولونالي والذي هو أكثر ملاءمة مع طبيعة الموضوع وأثارت الباحثة أن يكون هيكل الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث، ويليها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، وهذه المباحث هي البحث في مفهوم الخطاب ما بعد الكولونالي ومعانية المصطلحات المرتبطة به وإعطاء تعريف لمفهوم ما بعد الكولونالية، متتبعة أهم التعريفات، وتسني للدراسة أن تنتقل إلى أسس ومرتكزات ما بعد الكولونالية ومن ثم تناول بعض رواد الخطاب ما بعد الكولونيالي من خلال ابرز مؤسسيها (فرانز فانون، ادوارد سعيد، هومي بابا، جياتري سبيفاك)

وقد وقع اختبارنا علي موضوع "النظرية ما بعد الكولونالية" لجملة من الأسباب والدوافع من بينها: -الرغبة في التوسع المعرفي للاكتشاف والاطلاع علي موضوع النظرية "ما بعد الكولونالية" وذلك لكونها نظرية من النظريات المعاصرة التي عملت على نقض الفرضيات التي تقوم عليها رؤي المركزية الغربية وأيضا ما دفعنا إلي التمعن في هذا البحث أهمية "النظرية" في كونها حقلا يلقي بظله المديد على معضلات الوجود والعيش في هذا العالم، خصوصا تلك المعضلات التي تواجه الفئات المهمشة والمنبوذة،

والشعوب المقتلعة والغرباء المرفوضين في المجتمعات العرقية اللامنتين داخل الثقافات المركزية في الغرب.

أهداف الدراسة: -

- الاطلاع على واقع مصطلح ما بعد الكولونالية، والتعريف بالنظرية ما بعد الكولونالية.
- معاينة المصطلحات المرتبطة ومنها الاستعمار / الخطاب / وما بعد الكولونالية.
- استعراض أهم مرتكزات ودعائم النظرية ما بعد الكولونالية.
- تسليط الضوء على أبرز رواد النظرية وافكارهم الثقافية والسياسية من الغرب والعرب.

ولكل دراسة منهج متبع، وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي"، وذلك بذكر حقائق تاريخية، في تتبعنا لنشأة النظرية ما بعد الكولونالية"، وتناول أهم روادها بالإضافة إلى اعتمادنا على المنهج التحليلي والنقدي، للإحاطة بجميع جوانب النظرية وتحليلها.

الدراسات السابقة:

أن أهم الدراسات التي لابد أن أفيد منها في دراستي هذه، كانت بين دراسات عربية وأخري مترجمة ومنها: رامي أبو شهاب كتابه الرسيس والمخاتلة "خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق، وأيضا كتاب بيل آشكروفت" دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، آشكروفت، وأخرون "الرد بالكتاب: النظرية والتطبيق في أدب المستعمرات القديمة" وكتاب أنيا لومبا "في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية"، ومديحة عتيق "ما بعد الكولونالية مفهومها – أعلامها – أطروحاتها، وكتب فرانز فانون "معذبوا الأرض"، "وبشرة سوداء واقنعة بيضاء" وكتب أدوار سعيد "الاستشراق"، الثقافة والإمبريالية".

أولا: النظرية ما بعد الكولونالية وارتباكات (المفهوم والمصطلح)

جاءت النظرية ما بعد الكولونالية كرد فعل على مختلف اشكال التبعية للمراكز الغربية سابقا، والمهيمنة في الحاضر، وللثقافة المرتبطة بالنموذج الغربي، ولهذا تسلح بها عدد من النقاد من العالمين العربي والغربي، وساهموا في تطويرها وتوضيح معالمها حتي أصبحت حقل معرفي في الأوساط الأكاديمية، فالحديث عن مفهوم "النظرية ما بعد الكولونالية"، يستوجب علينا تعريف بعض من المصطلحات التي ترتبط بها اشد ارتباطاً، والتي تلعب دورا أساسيا في فهم "النظرية" وسنتطرق إلي بعض منها وهي "مصطلح الخطاب" و "الكولونالية" و "ما بعد الكولونالية" ناهيك عن المصطلحات المشتركة في المعني والتي سنكتفي بذكرها وهي (الامبريالية، الانتداب، الاستبطان، المركزية الغربية، الهيمنة).

1- مفهوم الخطاب: Discourse

لغة: ورد مفهوم الخطاب في لسان العربي "خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير .... ومنه قولهم جل الخطب أي عظم الأمر والشأن ... وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطايا وهما يتخاطبان والخطبة هي اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، وفي مثل الرسالة التي لها أول ولها أخر والمخاطبة مفاعلة من

الخطاب (أبن منظور، 2005، ص 98) وكما أشار جابر عصفور أن أغلب المرادفات الأجنبية لمصطلح الخطاب" مأخوذة من أصل لاتيني وهو الاسم discourse المشتق بدوره من الفعل discurrere الذي يعني الجري هنا وهناك والمحادثة الحرة والارتجال. (عصفور، 1997، ص 64) وهذا يعني أن مفهوم الخطاب سواء في اللغة العربية أو الأجنبية يعني الحديث عن اللغة المستعملة لغة التواصل والتفاهم.

اصطلاحا: أظهر الاستعمال الاصطلاحي للخطاب إلي معاني ودلالات أكثر تحديدا، واستخدم المصطلح في الكتابات والمناقشات ذات الطابع السياسي والمعرفي ونعني به إطاراً من الكلام المكتوب أو الملفوظ الأوسع امتدادا من النص، ويكون الخطاب مجموعة من الأفكار والدلالات المندرجة في سياق أيديولوجي أو أدبي أو علمي خاص (زيما، 2013، ص 252) كما يعني أيضا العرض والسرد والخطبة الطويلة نسبيا غير الخاضعة إلي خطة جامدة ثم الموعظة والخطبة المنمقة، والمحاضرة والمعالجة البحثية وأخيرا اللغة من حيث هي أفعال أدائية لفاعلين، أو ممارسة اجتماعية لذوات تمارس الفعل الاجتماعي وتنفعل به بواسطة اللغة. (عصفور، مرجع سابق، ص 65) وهذا ما يعني أن الخطاب شاع في حقل الدراسات اللغوية، واستخدمت كلمة الخطاب لوصف المحادثة أو الكلام، ومن ثم أصبح يستخدم لوصف السرد أو الحديث أو وصف ثقافات الشعوب.

يعتبر مفهوم الخطاب من القضايا الشائكة في الساحة النقدية، وتتعدد مرجعياته، أذا يعتمد المفهوم تبعا للحقل الذي ينتمي له، سواء الخطاب الأدبي والاجتماعي، والفكري والإعلامي، ويعود ظهور الخطاب في الدراسات الأدبية أواخر عام 1970، باحثا في الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية، غير أن ما يؤسس لمفهوم الخطاب هي العلوم التي تعمل علي إنشائه ووضع مبادئه وإجراءاته (أبو شهاب، 2013، ص 42-43) يظهر أبو شهاب في مفهوم الخطاب أن الدراسات المشتركة بين العلوم هي التي تسمح علي كشف وأعاده انتاج خطاب جديد أنشائه ووضع مبادئه.

تعددت تعاريف مفهوم الخطاب وتباينت المواقف من لغوي لأخر ومن باحث لأخر ومن دارس لآخر، وفي هذا الإطار وبالنظر إلي ممارسي الدراسات الثقافية، وحسب معجم الدراسات يستخدمون مفهوم الخطاب بطريقة اكثر تقنيه مستمدة من عمل المؤرخ والفيلسوف ميشال فوكو Michel Foucault[1] ويعتبر الخطاب هنا، موحدا للغة والممارسة ويشير إلي الطرق المنظمة للحديث عن الذات والتي من خلالها تكتسب الأشياء والممارسات معني، وإنتاج المعرفة من خلال اللغة، التي تعطي معني الأشياء المادية والممارسات الاجتماعية يمكن تسميته بالممارسة الخطابية Discursive practice (باركر، 2016، ص147).

أحدثت اعمال "ميشال فوكو" تأثيرات معرفية ومنهجية، وأثارت جدلا واسع النطاق، وحدد "ميشال" مفهوم الخطاب بأنه "عبارة عن شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي علي الهيمنة والمخاطرة في الوقت نفسه، ومن ثم يشير للخطاب، وهو يؤسس للوعي إلي الهيمنة التي يمارسها في حقل معرفي من أصحاب هذا الحقل، وإلي الملابسات التي تؤكد أنه إنتاج الخطاب وتوزيعه ليس حرا أو برينا كما قد يبدو من ظاهره (الرويلي، البازغى، 2002، ص 156) يوضح هذا أن الخطاب عبارة عن مجموعة من المقولات التي

[1] ميشال فوكو (1926 – 1984) فيلسوف فرنسي، من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، عالج مواضيع مثل الاجرام والعقوبات، ابتكر مصطلح أيديولوجية المعرفة أهم مؤلفاته: تاريخ الحنون في العصر الكلاسيكي (1961)، حفريات المعرفة (1969) ينظر الموقع http://ar.wikipedia.org/wiki/

يستند إليها هذا المفهوم، وتشير إلي مجموعة من العناصر والمشكلات تتطلب تحليل وبالتالي تخضع إلي الاحتمالات الاستراتيجية التي تنطوي علي عنصر السلطة والسيطرة مؤكدا في كتابه "نظام الخطاب" بقوله "ليس فقط ما يترجم الصراعات أو أنظمة السيطرة، لكنه هو ما نصارع من أجله وما نصارع به وهو السلطة التي تحاول الاستيلاء عليه". (فوكو، 2012، ص 9)، وبهذا قد حلل فوكو الخطاب ضمن عدد من المبادئ، وأنه خاضع لسلطة تتيح له الظهور أو الانتهاء.

2- مفهوم الكولونالية / الاستعمار (Colonization)

تناول معجم "لسان العرب" مصطلح الاستعمار في سياق جغرافياً التي يفترض أنها تحتاج إلي من يعمرها ويسكنها حيث جاء تحت مادة (عَمَرَ): يقال عمر الله بك منزلك يعمره عمارة وأعمره جعله أهلا، ومكان عَامِرُ: ذو عِمَارة، ومكان عَمِيْرُ، عَامِرُ، أَعْمَرَه المكان واستعمره فيه، جعله يَعُمرُه وفي التنزيل العزيز: "هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها (ابن منظور، مرجع سابق، ص 27) وهناك تعريف أخر لا يختلف عن هذا التعريف في "المعجم الغني" استعمر (ع م ر): فعل سداسي متعديا، استعمر، يستعمر، مصدر استعمار، استعمر الاستعمار الفرنسي البلاد بالسلاح، دخلها نازيا وأرادها تابعة له لفرض سيادته عليها. (أبو العزم، 2011، ص 24) من خلال هذان التعريفان نجد انهما يصبان في نفس المعني والذي يتجلى في أن الاستعمار يتضمن معني التعمير والأعمار، الا أنه في الواقع لا علاقة له بالمعني اللغوي.

اصطلاحا: يتطابق التعرفان الاصطلاحي واللغوي حيث أن كلمة الكولونالية وكما أوضحها "أنيالومبا" هي نقل حرفي لكمة Colonialisme باللغات الأجنبية إلى العربية، وهي مرادف لكلمة الاستعمار كما هو شائع، وحسب قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية "مشتقة من كلمة "كولونيا" "coconia" التي تعني مزرعة أو مستعمر وأشارت إلي الرومانيين الذين استقروا في أراض أخري. (لومبا، 2007، ص 17) وهنا نجد "انيا" ربطت الكولونالية بالمكان، اعتقادا من أنه لا يتجسد الاستعمار أو الكولونيالي الا في حيز مكاني، فهناك من يعتبرهما تندرجان تحت معني واحد، غير أن "آشكروفت" واخرون يفرقون بين كلمتي Colonialism و Colonization "وذلك باستخدام الكولونالية للأولي والاستعمار للثانية وكولونيالي للصفة Colonia والاسم Colonialist الدال علي الشخص الذي يناصر السياسة الكولونيالية بينما استخدموا كلمة مستعمر Colonist للاسم الدال علي الشخص المستوطن في مستعمرة أو أحد المؤسسين للمستعمرة، حيث يعد مصطلح الكولونالية ذا أهمية في تحديد الشكل المحدد للاستقلال الثقافي الذي تنامي بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة. (آشكروفت، وآخرون، 2010، ص 105) نلاحظ هنا أن آشكروفت ربط الكولونالية بالزمان.

أن التوسع الأوربي على حساب البلدان العربية كان له اثره الثقافي والسياسي والاقتصادي، فالدول الأوربية هي الدول القوية ذات السلطة أما المجتمعات العربية كانت ضعيفة وبسيطة وغير قادرة علي تمثيل نفسها، فكثيرا ما كانت ذريعة الاستعمار هو نشر الحضارة والتمدن في تلك المجتمعات المتخلفة هذا ما أوضحه "لومبا" في تعريفة "بأنه غزو أراضي وممتلكات شعب آخر والسيطرة عليها، بيد أن الاستعمار بهذا المعني ليس مجرد توسع عدد من القوي الأوروبية علي آسيا وإفريقيا والأمريكتين منذ القرن السادس عشر وما بعده بل كان سمة واسعة الانتشار ومتكررة للتاريخ الإنساني. (لومبا، مرجع سابق، ص 18) بذلك يعتبر الاستعمار ظاهرة سياسية واقتصادية وعسكرية بل ويتعداه تربويا وثقافيا

أيضا، والذي هو أخطر أنواع الاستعمار، والذي يحاول طمس هوية المجتمعات، ومحو الثقافات، وذلك بفرض ثقافة الرجل الأبيض، وهذا ما افرز الكولونالية الجديدة بفعل الامبريالية والهيمنة.

أن المفهوم الإيجابي للاستعمار تحول إلى النقض حين طغت آلة الاستعمار الأوروبي وأحالت الجغرافيا التي تبتعد عن أراضيها إلى مشاريع للسيطرة والتملك، بغية تحقيق فوائد اقتصادية مصحوبة بمبررات تنطلق من مبدأ تحسين وتأهيل المكان غير الآهل، وبهدف تطويره حضاريا. (أبو شهاب، مرجع سابق، ص 47) على الرغم من أن تلك الأراضي تمتلك تاريخا ثقافيا وحضارا، ومعرفة خاصة بها، ما جعل المستعمرين في نظر المستعمرين أنهم "كاذبون ومضللون، عندما يدعو أنهم مصلحون، يريدون بأهل المستعمرات الخير والبركات، وأن إله سخرهم لإصلاح ما فسد من أمر العباد، فهم في الواقع دعاة شر مفسدون، يعملون وفق سياسة منكرة. (إبراهيم، 2015، ص 13)، فالمستعمر يملاء الدنيا أدعاء بإنه رسول الحضارة والارتقاء والسلام" (الغزالي، 2005، ص 68)، فالتاريخ الإنساني لم يشهد ممارسات استعمارية كالتي قادها الأوربي جاء من رحم الحضارة الغربية ولن تفرط الأم في ولدها ما عاشت" (عمار، 2018، ص7).

وفيما يخص تداخل مصطلحي الكولونيالية والاستعمار تقول علاوشيش: "وعن المفهوم الكولونيالي أو الاستعماري وهو المصطلح المتداول عموما في كتب التاريخ وذلك إلى اعتبار الثاني مقدمة أو مدخل الأول، هذا من جهة، ومن جهة أخري تميزه عن مصطلح ما بعد الاستقلال باعتباره الفترة التي أعقبت التخلص من الثاني (علاوشيش، 2013، ص 43) بمعني أن الاستعمار ما هو الا بداية إرساء لمعالم الكولونالية العنف والهيمنة، ونهب حرية المستعمر وثرواته، وإلغاء وجوده.

مما تناولناه وصل إلى أن الاختلافات الاصطلاحية والمفاهيمية بين (الاستعمار) و (الكولونيالية) أفرز اختلافات ومشكلات في كيفية التمييز بين (الكولونيالية) وما بعد الكولونالية.

3- مفهوم مصطلح ما بعد الكولونالية Post Colonialisme

مصطلح "ما بعد الكولونالية" يشير إلى مجال شديد التنوع والتعقيد، لقد نمت نزعة مناهضة للكولونالية، تشعبت واتخذت لها اشكالا عديدة إزاء المواقف الكولونالية المتطرفة، لمحاولة تحليل وتفكيك الاحتلال الذي أوضحته الثقافة الغربية.

وعلي صعيد المصطلح وصعوبته يشير المؤرخ الأمريكي "فريد يريك كوبر" (F, Cooper) إلى أن مصطلح كولونيالي (Colonial) نفسه يحمل قصورا بتجاوز خصوصيات كونه نظاما ثلاثي لأن هذه التسمية كولونيالي تربط تاريخ العالم العربي وهويته في الحضارة والتقدم بتكوينه الاستعماري، فالكولونيالي يشير قبل أي شي، أخر إلى التمييز بين بعض الشعوب باعتبارها تحتاج إلى أشكال معينة من السيطرة والمراقبة (Fredenc, 2010, p40) ومعني ذلك أن الواقع الكولونالي لا يمكن تجاهله كواقع تاريخي، ولو تم الغاءه أو تحجيمه يصبح ضربا من الطمس.

دار حول هذا المصطلح جدال حاد ومستمر، وكان السؤال الأول الذي يلوح في هذا المجال ما الذي تعنيه ما بعد الكولونالية؟ وبالنظر إلى البادئة "ما بعد" يري ادوارد سعيد أن "ما بعد" تعقد الأمور لأنها تفترض "نتيجة بمعنيين: زمني كالقدوم فيما بعد، وأيديولوجي كحلول شخص أو شيء محل آخر (كالاستئصال). إن المعني الثاني هو الذي وجده نقاد المصطلح مثير للجدل: فإذا ما كانت أشكال جور الحكم الاستعماري لم تمحي بعد، فربما يكون من السابق لأوانه إعلان وزال الاستعمار، فبلد ما يمكن أن

تكون ما بعد استعمارية (بمعني أنها رسميا مستقلة) واستعمارية جديدة (بمعني أنها لا تزال (أو) وثقافيا تابعة) في الوقت ذاته. (سعيد، 2014، ص 22)، ويري كذلك "إيهاب حسن" أن المصطلحات التي تحتوي على البادئة "ما بعد" تعاني من عدم الاستقرار وشديدة الارتباك (حسن، 2018، ص12) ويشير "هومي بابا" (Homi Bhaha) بأن سؤال الثقافة في عالم ما بعد، دال (ما بعد) ليس أفقا جديدا ولا مغادرة للماضي ومشكلة الهوية والحاضر والماضي، إن في الـ (ما بعد) ضربا من الإحساس بفقدان الاتجاهات أو اضطراب الوجهة المنطوية على الكولونالية، حركة استكشاف قلقة". (بابا، 2006، ص44) مما يعني أن الـ (ما بعد) يعني نهجا ومنهجا وطريقة تفكير تبحث في الماضي والحاضر والمستقبل طبقا لحركات عسكرية مسَت الهوية والثقافة.

في هذا الصدد وفيما يخص التعريف والتميز بين فترات الكولونيالية / ما بعد الكولونالية عبر آشكروفت قائلا: "فإن المشكلة الكلية للتعريف والتميز بين فترات الكولونيالية / ما بعد الكولونيالية أكثر إشكالية مما يشار إليه غالبا وليست لحظة الاستقلال في حد ذاتها – رغم أنها دال شديد الأهمية للتغير التاريخي العميق – حاسمة أو مطلقة كما تم التلميح أحيانا. إذا كان خطر إحدى الطريقتين هو تجنيس وإزالة الاختلاف الثقافي فخطر الأخرى هو منع الاستمرارات المتواصلة وعناصر التأثير الكولونيالي التي تستمر في تمييز سياسات ما بعد الكولونيالية ودولة ما بعد الكولونيالية، حتى تحقيقها الاستقلال السياسي". (آشكروفت، وآخرون، مرجع سابق، ص 213)، تبين لنا من هذا النص أن الكولونالية وما بعدها مرتبطة بفترات زمانية – سابقة ولا حقة ومتزامنة لعملية الاستقلال، وخاضعة لوجهة نظر نقدية، إلى جانب الهدف منها والمنهجية التي تتبعها.

حاول النقاد والمؤرخين التمييز بين التعريفات من خلال عرض ثلاث صيغ شكلية لهذا المصطلح وهي: (Post- Colonialism) (postcolonialism) (Post/ Colonialism): فحين تكتب بهذه الواصلة (-) فهي تتضمن ترتيبا تعاقبيا بمعني التغير من حالة الاستعمار إلى حالة ما بعد الاستعمار. وحين تكتب بدون الواصلة، فهي تحيل إلى الكتابات التي أنجزت كي تقاوم بشكل أو بآخر المنظورات الكولونيالية سواء قبل مرحلة الاستعمار أو بعده، وحين تكتب بهذه الواصلة (/) فهي تركز على العلاقات المتداخلة بين عدد غير محدود من الآداب – الأنجلوفونية أو غيرها – التي تتقاسم حالة مشتركة وهي الحالة المعقدة / المتشابكة التي توجد بين الخطاب الكولونيالي والخطاب ما بعد / الكولونيالي، وبين الاستعمارية (Coloniality) وما بعد / الاستعمارية (Post/coloniality). (Lutifi, 2014, p202).

ولعل التعقيد في المصطلح "ما بعد الكولونالية" راجع إلي مفهومها الذي يختلف بالنسبة للباحثين " إذ يري البعض منهم أن ما بعد الكولونيالية تغطي مرحلة ما بعد الاستعمار من وجهة نظر كرونولوجية (تاريخية، تطورية، مرحلية) وبالنسبة للبعض الآخر فهي تغطي مرحلة ما بعد الاستقلال والمشاكل الموروثة والمخلفة من قبل الاستعمار (مثل مسائل الهوية، مسائل لسانية ولغوية، الحالة الاقتصادية أو السياسية).

أما بالنسبة "دوغلاس روبنسون" فهو يقترح مصطلح "دراسات ما بعد الاستقلال" لأن مشروع الدراسة والعمل هو الاستعمار باعتباره ظاهرة جيوبوليتكيه (جيوسياسية) في السلم العالمي (الدراسات المقارنة لمختلف حالات الاستعمار) (Kamgang, 2012, p10) حيث تناول مفهوم ما بعد الكولونالية أثار الاستعمار على الثقافات والمجتمعات، اذ أن الفئة التي حصلت على استقلالها من المستعمرات هي ما أطلق عليها "ما بعد الكولونالية".

يقصد بدراسات ما بعد الكولونالية /الاستعمارية انها الدراسات التي تبحث في العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمرا، وما يقع خارج الغرب من دول وقعت تحت طائلة الاستعمار، مع ما تتضمنه تلك الدراسات من تحليل لنصوص الأدبية وغيرها، للكشف عن استراتيجياتها الخطابية علي النحو الذي يبرزه إدوارد سعيد في كتابه الاستشراف والثقافة والامبريالية (بعلي، 2007، ص 172) بناءا علي هذا المفهوم تتضح العلاقة بين السلطة والمعرفة من خلال سيطرة الغرب علي دول الشرق، ودور النصوص الأدبية والفلسفية في وضع الخطابات الغربية وعلاقتها بالدراسات ما بعد الكولونالية، وهذا ما تناوله بالدراسة الناقد إدوارد سعيد.

لذلك وجب الارتقاء بمصطلح ما بعد الكولونالية إلى مصاف النظريات أو كما أورد آلان لوسون Alan Lawson على أنها: "حركة تاريخية – تحليلية ذات باعث سياسي تشتبك مع آثار الكولونيالية، وتقاومها، وتسعي إلى أبطالها (راغب، 2003، ص 549).

في هذا المضمار تعتبر النظرية حركة نقدية محضة، نشأت ضمن حقل معرفي شمل كل ما يتعلق بآداب وثقافات الشعوب المهمشة والمسلوبة، فهو حقل مختلف عن السياقات النقدية السابقة.

ثانيا: ارهاصات النظرية ما بعد الكولونالية" التاريخية والثقافية

واكبت النظرية ما بعد الكولونالية محطات كثيرة وشهدت تحولات في تاريخها، لذا يفترض البحث في الظروف والاوضاع السياسية التي نمت في ظلها.

تعد النظرية ما بعد الاستعمارية واحدة من نظريات "ما بعد" البنيوية Posts truralism، وما بعد الحداثة Post modernism وتهمين على الساحة النقدية الثقافية، وشهدت بروز ما بعد الكولونالية مرحلة "ما بعد الحداثة، وبعد سيطرة البنيوية على الحقل الثقافي الغربي، وهيمنة الميثولوجيا البيضاء على الفكر العالمي. (كارتر ، 2018 ، ص125)

جمع بين نظرية ما بعد الكولونالية والفكر ما بعد الحداثة، التشكيك بالسرديات الكبرى التي نعتها أحد أباء ما بعد الحداثة "فرانسدوا لبيوتار" وأولها "سردية التنوير الذي اعتاد الكثيرون ربطه بتطورات طرأت على الثقافة الغربية في أواسط القرن الثامن عشر، انتشرت إثرها قيم ومبادئ ما لبثت أن تحولت إلى شعارات حملتها الثورة الفرنسية في نهاية القرن" (البازغي، 2008، ص 111).

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلي ما انتهي إليه النقاد والدارسون لرسم حدود بين الحقلين " ما بعد الحداثة، ما بعد الكولونالية" باعتبار "ما بعد الكولونالية" هي أبنه " ما بعد الحداثة" كما تسميها الناقدة "لومبا" وانقسم النقاد في ذلك إلي اتجاهين رئيسين هما: يري الاتجاه الأول: أن ما بعد الحداثة محصلة تاريخية أوروبية غربية مموضعا إياها ضمن الجغرافيا الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية الفرنسية/الغربية، كما يوضح ذلك كل من: تيري ايجلتون، وكرستوفر نوريس، وهارولد بلوم، ويورغن هابرماس (لومبا، مرجع سابق، ص 34).

وهنا تكون " ما بعد البنوية" – باعتبار أنها تيار في فكر "ما بعد الحداثة" – هي الرافد الأساسي لدراسات "ما بعد الكولونالية واما الاتجاه الثاني: يري أن الثورات التحريرية ضد الاستعمار الكلاسيكي، وضد الاستعمار الجديد، لعبت دورا تكوينيا في بلورة فكر ما بعد الحداثة، ومن انصار هذا التيار الناقد "روبيرت يونغ"، الذي يعتبر أفكار ما بعد الحداثة، اوحت بها الثورة الجزائرية لهؤلاء المفكرين (يونغ،

2003، ص55)، أن هذا الاتجاه يعمل علي فكفكة الاستعمار ذاته وعلي ما قدمه "جاك دريدا"[1] في استراتيجية التفكيك، والتي اعتمدها "ادوارد سعيد" لقراءة النصوص الأدبية والفلسفية في قراءة الآخر، وهنا يمكن القول أن منقولات الدراسات ما بعد الكولونالية تتقاطع وتتداخل في مجالات كثيرة مع المقولات المتباه من قبل نقاد ما بعد الحداثة.

ترعرعت الدراسات ما بعد الكولونالية بعد انهيار الإمبراطوريات الأوروبية العظمي في أربعينات القرن العشرين وخمسينياته وستيناته، وما تلا ذلك من بروز الدراسات الثقافية المناهضة للهينة في الدوائر الأكاديمية. (روبسون، 2005، ص 27)، هذا إلى جانب الحرب الباردة ويزوغ "العالم الثالث"[2] إذ تحصلت الكثير من الدول على استقلالها وأبرزها الهند وبلدان شمال أفريقيا، وباقي الدول الافريقية، ورافق ذلك نهضة فكرية ونشاط أدبي، لذا تمثل "ما بعد الكولونالية" "حركة تاريخية ذات باعث سياسي تشتبك مع آثار الكولونيالية وتقاومها وتسعي إلى إبطالها، وذلك في الدوائر المادية والتاريخية والثقافية والسياسية والتعليمية والاستطرادية والنصية." (راغب، مرجع سابق، ص 556).

وفي معرض حديثنا عن نشأة وبداية النظرية" اختلفت الآراء حول تحديد الفترة الزمنية التي ظهرت فيها إذا ما اعتبرنا ما بعد الكولونالية تعود "للفترة التي تلي وتعقب الاستعمار لكن الأسئلة التي تدور بعد أي استعمار؟ وبعد نهاية أي امبراطورية استعمارية؟ هل تتمثل في المركزية الإنجليزية أو المركزية الأوروبية التي كبرت وتوسعت في منتصف القرن العشرين، وبالخصوص مع نهاية الإمبراطورية البريطانية والفرنسية؟ وماذا بالنسبة لبداية القرن التاسع عشر، أمريكا اللاتينية ونهاية اسبانيا والبرتغال؟ أم في نهاية القرن الثامن عشر واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية حقيقة لا توجد مرجلة كولونيالية (استعمارية) واحدة في التاريخ العالمي. (Childs, Williams, p.11).

انطلاقاً من النص السابق لمؤلفي كتاب "مقدمة إلي النظرية ما بعد الكولونيالية" تبين أنه من الصعب تحديد الفترة الزمنية للاستعمار فعلي الرغم من التخلص الظاهر من الوجود العسكري لبلدان العالم الثالث، لا يعني علي الاطلاق استقلالها، هذا ما يؤكد: إن مفهوم ما بعد الاستعمار لا يعني أن البلدان المستعمرة سابقا قد تخلصت من آثار المستعمر، سواء كانت ثقافة أو لغوية أو اقتصادية أو عسكرية أو صناعية، وكل ذلك مجتمعا، إن مفهوم ما بعد الاستقلال يتميز بأنه يدل علي خلو البلدان المستعمرة سابقا من الجيوش التي كانت تحتلها فقط، أي الاستقلال هو ردف إحلال الدولة – الأمة – محل المستعمر (عمرو، القراءة السنوية لما بعد الكولونالية شرعية) http://www.lhoonlin.com/articles/view/17591 ، وبذلك يولد استعمار من نوع أخر، وهذا ما ذهب إليه بعلي في قوله "فقد صاغت تجربة الاستعمار، حيوات وأعمار ثلاثة أرباع من البشرية التي تعيش في عالم اليوم، وكانت صياغة من العمق لدرجة أن تأثيراتها لم تقتصر علي المجالات الاقتصادية وحدها بل تعداه إلي المجالات الثقافية والفكرية والإيديولوجية (بعلي، مرجع سابق، ص 66)، ولذا سعت "الدراسات ما بعد الكولونالية إلي بناء عالم افضل من الذي أقره العقل الغربي، اذ انه ولفترات طويلة سيطر الاستعمار علي الشعوب اقتصاديا وثقافيا وايديولوجيا.

---

[1] جاك دريدا (1930- 2004م) فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر، صاحب نظرية التفكيكة Deconstruction ومن كتبه علم الكتابة.

[2] العالم الثالث The Third World عبارة أطلقها عالم الديمغرافيا الفرنسي سوفي Alfred Sauvy في 1950م والتي اشاعها المفكر الفرنسي سارتر p Sartre

وبالعودة إلي السياقات الثقافية للنظرية، يذهب الكثير من الدراسين إلي أنها نشأت بفضل جهود "سلسلة من المفكرين الغربيين الراديكاليين (كارل ماركس، فريدرك نيتشه، لوي ألتوسير، فريدرك جيمسن، جاك دريدا، ميشيل فوكو، إدوارد سعيد الذين أشاعوا الاضطراب في الافتراضات التقليدية المتعلقة بالمعرفة (روبنسون، مرجع سابق، ص27)، الا أن هناك من أعاد منابع النظرية الي محطات زمنية كان لها تأثيرات بعيدة المدي لنشأة النظرية، علي نحو كل من جون لوامسال[1] Jean-loup Amselle ، وروبرت يانغ عندما ربطا النظرية بمحطتين هيئا لظهورها، وهما:

1- مؤتمر باندونغ[2] (Bandung Conference)

المنعقد عام (1995) ويمثل بالنسبة ليانغ النواة الأولي لنظرية ما بعد الكولونيالية، يقول: من نواح يعد مؤتمر باندونغ أصل ما بعد الكولونيالية باعتبارها فلسفة سياسة واعية (C.Young, p. 17) فكان هذا المؤتمر دعما قويا لصعود حركات مناهضة للاستعمار وتصفيته.

2- مؤتمر القارات الثلاث (Tricontinental Conference) :

شكل المؤتمر المنعقد بالعاصمة الكوبية هافانا عام 1966 منعطفا هاما في حياة النظرية، إذ أسفر عن نشر مجلة بالاسم نفسه (Tricontinental)، اشتملت للمرة الأولي، علي كتابات منظري ما بعد الكولنيالية، جنبا إلي جنب، مع نشاطات كل من: أميركال كابلار (Amilcar Cabral)، فرانز فانون (Frantz Fanon)، تشي غيفارا (Che Guevar)، وهوشي منه (Ho Chi Minh)، جون بول سارتر (J.P. Sartre) .... وجهوا نقدهم علي المستوي الإبستيمولوجي صوب المعرفة، باعتبارها وليدة الهيمنة الغربية (C.Young , lbid, p. 17-18)، عملت المجلة علي نقد المعرفة المضمرة للنشاطات الثقافية والسياسية باعتبارها وليدة الإمبريالية الغربية.

سعي المشتغلون في الحقول الفكرية، والمعرفية، لتفويض الخطابات المركزية، وعرف الفكر ما بعد الكولونالي تطورات مع نهاية السبعينات من القرن الماضي "عرفت مجالا مرموقا ومجالا أشعل شراراته جزئيا "كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد الذي صدر عام 1978، أحد أعماله التأسيسية الأولي إن لم نقل الحاسمة في هذا المجال، حيث لفت الانتباه إلى الطريقة التي انتهجها الخطاب الأدبي الغربي في وصف الشرق أو اختلافه. (آشكروفت، مرجع سابق، ص9).

أن الخطاب ما بعد الكولونالي بناءا علي النص السابق، تأسس أكاديميا بالارتكاز علي إسهامات وأعمال "ادوارد سعيد" ومن تبعه من بعده، الا أن هناك بداية من مرحلة الريادة في ظهور الدراسات ما بعد الكولونالية لا بد من الاعتراف بها والتي هي بمثابة الحافز والدافع لـــ "سعيد" في بلورة النظرية بالكامل، ومن بين المفكرين الذين احدثوا تغيرات جذريا في الأواسط الفكرية الغربية بإرائهم الرافضة للمركزية الغربية، "ميشيل فوكو، وجاك دريدا Jacques Derrida و Michel Foucault و ألبير ميمي Albert Memmi ، فكان لهم حضورا ومساهمة في تشكيل خلفية للفكر الكولونالى.

وفي السياق نفسه، لا يمكننا أغفال أعمال وجهود "فرانز فانون" Franaz Fanoun والذي يعد من ابرز الأصوات المناهضة للاستعمار، فقد تجاوز نقد الاستعمار إلي نقد الثقافة الكولونيالية التي ولدت الحالة الاستعمارية، كما أنه تجاوز مرحلة وصف الحالة الكولونيالية إلي مرحلة تصفية الاستعمار

---

[1] راجع: J.L. Amselle, Au-dela en deca du postcolonialisme, Les Temps Modernes, n°603,2018,pp76-84

[2] هو مؤتمر تاريخي عقد في مدينة باندونغ باندونغ الاندونيسية خلال الواقعة بين الثامن عشر من نيسان-ابريل والرابع والعشرين

(Cherki,2000, p. 245) ، كانت أفكار "فانون" الركيزة الرئيسة للنظرية، وذلك من خلال اشادته بحركات التحرر، والذي حمل لواء الدفاع عن الضعفاء والمتهورين، وبالإضافة إلي "فانون" نجد الشاعرين "ايمي سيزار"[1] و "ليوبولد سيدار سنغور" والذين لهم اسهاما تهم في ما يعرف تيار الزنوجة "Negretude".

وفي هذا المضمار لابد من الإشارة إلى النشاط السياسي للإيطالي " أنطونيو غرامشي"[2] والذي له العديد من المفاهيم المستخدمة في الخطاب ما بعد الكولونالي، مثل "الهيمنة" و "المثقف العضوي وغيرها.

بناءا على ما سبق تعاضدت مقولات النقاد والمفكرين، والتي أدت إلى تحول الفكر ما بعد الكولونيالي إلى مجالات أكاديميا صاعدا مع جهود الثالوث المقدس للنظرية ما بعد الكولونالية وهم: ادوارد سعيد Edward Said وهومي بابا Homi Bhabha وغياتري سبيفاك Gayatri Spivak، الذين سنتناول أعمالهم في جزءا لاحقا من هذه الدراسة.

وفي ميدان تتبعنا لأهم العوامل التي شكلت الأرضية للنظرية، وشاركت في اثراء جوانبها، منها الدراسات الأدبية التي كانت الدافع الفعلي لظهورها وحسب راي الدارسين يذكر أن رواية الطيب صالح " تحت عنوان" "موسم الهجرة إلى الشمال" من العوامل الأساسية في ظهور النظرية.

سبق ظهور الرواية مولد "النظرية" بعقد من الزمان، والتي كان ظهورها عام 1966، وتبنت "النظرية ما بعد الكولونالية ما تناولته الرواية وتطرقت آليه، وهذا ما أشار له "الفيا" قائلا: ان العلاقة بينهما "علاقة متبادلة" فكل منهما يبدوا وكأنه صدي للآخر (الفيا،2009، ص6) http://www.sudanile.com/index، وتمكن أهمية الرواية في تناولها مسألة العلاقة بين الشرق والغرب؟، وفهم "الأخر" وحقيقته ومواجهته ورفض كل ما يتعلق به من معارف وثقافات.

يشكل الروائي "الطيب صالح" مدرسة امتد تأثيرها إلى العديد من البلدان العربية ولقب "بعبقري الرواية العربية"، وتطرف "صالح" لرواية ثانية تعالج موضوع مركزيا للأدب العربي الحديث عنوانها "تحدي العرب" وكان قد أدرك من خلالها أن الغرب لم يحمل حضارته فقط بل الاستعمار أيضا، وقدم قراءة سردية ما بعد الكولونالية للشرخ الذي احدثته تجربة الاستعمار في أفريقيا والعالم العربي (فضل الله، "الروائي الطيب صالح في عيون الالمان"، 2016). ?http://webcache.google.usrconetent/search

كما نجد كتاب اخر لا يقل أهمية عن سابقه للناقد المغربي "إدريس الخضراوي" الموسوم بـ "الرواية واسئلة ما بعد الاستعمار" وهو دراسة يربط من خلالها علاقة بين الرواية والنظرية ما بعد الاستعمارية والنقد الثقافي من خلال دراسته لمجموعة من الاعمال الروائية العربية إذ كان "يسعي إلي الاقتراب من قضايا ثقافية عديدة تتصل بالتاريخ والهوية، وثنائية الأنا والأخر في سياق ما بعد الكولونيالية (الحضراوى، 2012، ص 38) من هذا المنطلق تحتل الرواية موقعا هاما في مجال الدراسات وكما قامت الرواية بمعالجة الأزمة الحضارية بين الشرق والغرب.

---

[1] آيمي سيزار: (1914-2008) شاعر مارتينيكي، شغل كرسيا نيابيا في المارتينيك قرابة خمسين عاما؟، دخل عالم الأدب من باب ديوانه الشعري دفتر العودة إلى أرض المنشأ. في عام 1939 استخدم كلمة الزنوجة للمرة الأولي لتعني أن يعي ذوو البشرة السمراء أنهم ذوو بشرة سمراء. كان من أبرز الدعاة إلى أن تتمتع جزر المارتينيك باستقلال ذاتي. كرس حياته للاعتراف بهويته وبغني جذوره الإفرقية.

[2] أنطونيو غرامشي: فيلسوف ومناضل ماركسي، ولد في بلده اليس بجزيرة ساردينيا الإيطالية عام 1891، انضم إلي الحزب الشيوعي الإيطالي منذ تأسيسه، توفي سنة 1937م، ينظر http://ar.wikipedia.org/wiki

وعليه يمكن القول إضافة إلى كل الآراء السابقة حول المولد والنشأة للنظرية ما بعد الكولونالية وتطورها والإحاطة بكل ملابساتها، إلى أن النظرية لم تظهر بشكل فجائي، وكما أنها ليست وليدة العدم، وقد ساهمت في تشكليها تيارات وخلفيات فكرية ونقدية وأدبية رغم وجود اختلاف في تحديد تاريخ ظهورها، إلا أنها تعود إلى بداية حركة الاستعمار، وبداية تشكيل استراتيجية خطابية مضادة نقدية لمقاومة الاستعمار وأسسه بين مجتمعات العالم الثالث وما تركه من اثار وخيمة على المجتمعات والثقافات.

ثالثا: تعريف النظرية ما بعد الكولونالية: -

إذا كان الكثير من النقاد والمفكرين قد تباينت اراءهم حول ضبابية الدلالة التاريخية لـ "ما بعد"، حيث ظهرت مؤخرا موجة من الـ ما بعديات على نحو "ما بعد الحداثة ... الخ، ما يدل ذلك على ضبابية مصطلح ما بعد الكولونالية؟ وأدي ذلك إلى اعطاء المصطلح عدة تعاريف ومسميات فمنهم من يعطيها اسم "النظرية ما بعد الكولونيالية" ومنهم من ترجمها إلى "النظرية ما بعد الاستعمارية"، والخطاب ما بعد الكولونيالي" أو ما بعد الاستعماري"، ومع تعدد التسميات، تعددت التعريفات، واختلفت، ففي قاموس أفكار ومفكرين "يعرفها الباحث "كريس دوهمان": بأنها حركة في النقد الاجتماعي والأدبي التي ترد على آثار الامبريالية الأوربية على الشعوب المستعمرة. إن ما بعد الكولونيالية تقدم سردية مضادة تتصل بالشعوب المستعمر سابقا (عمر، نظرية ما بعد الكولونالية: المقاومات والنقد، 2018) http://anthro.ahlamontada.net/t778.topic ما يعني أنها حركة نقدية قامت بها الشعوب المستعمرة للرد على الإمبريالية الغربية، وكان الياتها في ذلك "السرد المضاد".

وفي سنة 1989 بدأ مؤلفي كتاب "الإمبراطورية ترد الكتابة" بتعريف المصطلح بقولهم "ونحن نستخدم مصطلح "ما بعد الاستعمار" ليغطي كل الثقافات التي تأثرت بالعملية الإمبريالية من لحظة الاستعمار حتى يومنا الحالي، ذلك أن هناك خطأ متصلا من الاهتمامات على مدار العملية التاريخية التي بدأها العدوان الإمبريالي" (آشكروفت، وآخرون، 2005، ص 15) معني أن التعريف قد استخدم المصطلح استخدامها واسعا اذ يشمل كل الثقافات التي طالتها الامبريالية منذ لحظة الاستعمار منذ القدم حتى يومنا هذا.

وقد حدد الان "لوسون" (Alan Lawson) النظرية بأنها حركة تاريخية وتحليلية ذات باعث سياسي يتصارع مع الكولونيالية ويقاومها بهدف إبطالها على المستويات المادية، التاريخية الفكرية، الثقافية، السياسية، والتعليمية (راغب، مرجع سابق، ص 549).

ورصد "دوجلاس روبنسون" (Douglas Robinson) ثلاث تعريفات تتفاوت أطرها التاريخية فهي خاضعة لمعايير زمانية وعسكرية وثقافية.

- **التعريف الأول**: "دراسة مستعمرات أوربا السابقة منذ استقلالها أي كيف استجابت لإرث الكولونيالية الثقافي أو تكيف أو قاومته أو كيف تغلبت عليه خلال الاستقلال، وهنا تشير الصفة ما بعد الكولونيالية إلى ثقافات ما بعد الكولونالية إلى ثقافات ما بعد نهاية الاستعمار والفترة التاريخية التي تغطيها هي تقريبا النصف الثاني من القرن العشرين." (روبنسون، 2009، ص 88)، وهنا يتطابق التعريف مع مفهوم ما بعد الاستقلال، اضافت "عتيق" "يركز الباحثون والدارسون على التداعيات السياسية والثقافية واللغوية والدينية والأدبية على المجتمعات المستعمرة سابقا، المستقلة حديثا، ويحتفي النقاد

بهذا التعريف لأن مجاله محدد زمنيا واشكالاته المعرفية واضحة إلي حد كبير، إذ غالبا ما تتعلق باللغة والهوية والمكان والانتماء (عتيق، 2015، ص 4).

- **التعريف الثاني**: هي دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استعمارها أي الكيفية التي استجابت بها للإرث الكولونيالي الثقافي، أو تكيفت معه أو قاومته أو تغلبت عليه منذ بداية الكولونيالية، وهنا تشير الصفة ما بعد الكولونيالية إلى ثقافات ما بعد بداية الكولونيالية والفترة التاريخية التي تغطيها هي تقريبا الفترة الحديثة من القرن السادس عشر. (روبنسون، مرجع سابق، ص 89).

يشمل التعريف المرحلة الكولونالية الاوربية، وما بعدها "فالتحديد الزمني لهذا المفهوم يبدأ من القرن السابع عشر بعد أن استغلت فرنسا وبريطانيا كل الفرص من أجل احتلال أكبر عدد ممكن من دول أسيا وافريقيا واستنزاف ثرواتهم الطبيعية والبشرية (عتيق، المرجع السابق، ص 5) والمثال لهذه الفترة " الجزائر" وذلك منذ احتلالها 1830.

- **التعريف الثالث**: هي دراسة جميع الثقافات /المجتمعات/ البلدان/ الأمم من حيث علاقات القوة التي تربطها بسواها من الثقافات والكيفية التي أخضعت لها الثقافات الفاتحة الثقافات المفتوحة لمشيئتها، والكيفية التي استجابت بها الثقافات المفتوحة لذلك القسْر، أو تكيفت معه أو قاومته أو تغلبت عليه وهنا تشير الصفة " ما بعد الكولونيالية" إلي نظرتنا في أواخر القرن العشرين إلي علاقات القوة السياسية والثقافية (روبسون، المرجع السابق، ص 90)، هذا التعريف أكثر شمولا، اذا يشتمل علي العلاقات الكولونالية في انحاء العالم ويمكن أن نلخصها بالدراسات التي سعت لكتابه وتوثيق كل ما يشمل العلاقات الكولونيالية في كل انحاء المعمورة وعلي امتداد التاريخ بأكمله. (عتيق، مرجع سابق).

وفي سياق التعريف بالنظرية تجدر الإشارة إلى تداخل النظرية أو "الخطاب ما بعد الكولونالي، بالخطاب الاستعماري على الرغم أن الأخير يشير إلى تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتاج يعبر عن توجيهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقع خارج نطاق الغرب، ولذا فإن المصطلحين ينطلقان من وجهات نظر متعارضة فيما يتصل بقراءة التاريخ (الرويلي ، البازغي، مرجع سابق، ص 108).

فضلا عما سبق ذكره أن النظرية ما بعد الكولونالية تطورت بسرعة في ثمانينات القرن العشرين لتصبح تدل على مجموعة واسعة ومتنوعة من الدراسات الأكاديمية، التي تهتم في المقام الأول بدراسة التأثير الثقافي والاجتماعي للاستعمار الأوروبي ودراسة الطرق التي تستخدم لمقاومة هذا الاستعمار (ماكلويد، جون، 2020، ص9) وهذا يعني أن النظرية حقل معرفي يهتم بجميع المجالات الفكرية والثقافية والسياسية بالإضافة إلى اهتمام الباحثين بالخطاب ما بعد الاستعماري بما يعرف بالمقاومة الثقافية.

رابعا: أسس ومرتكزات النظرية ما بعد الكولونالية

تعد النظرية ما بعد الكولونالية فرع من فروع الدراسات الثقافية وأصبحت النظرية مجالا أكاديميا واسعا ومتنوعا، ومشحونا بالعديد من القضايا، ومن الطبيعي أن تواجه النظرية، عددا من الإشكاليات وإذا أخذنا بالقول فإن هذه النظرية ابتنت على مجموعة من المرتكزات النقدية نذكر منها:

1- **فهم ثنائية الشرق والغرب**: تحاول دراسات ما بعد الكولونالية فهم الشرق والغرب، فهما دقيقا وذلك من خلال رصد العلاقات التفاعلية الموجودة بينهما سواء كانت تلك العلاقات إيجابية مبنية على

التعايش والتسامح، أم مبنية علي العدوان والصراع الحضاري (حمداوي، 2018، ص 4)، كما ذهب إلي ذلك (صموئيل هنتغتون)[1] في كتابه "صراع الحضارات".

2- **مواجهة سياسة الغرب**: عملت النظرية على محاربة سياسة التغريب والتدخين والاستعلاء، التي كان الغرب ينتهجها في التعامل مع الشرق، وكذا تعرية مرتكزاتها السياسية والإيديولوجية، وفضح نواياها الاستعمارية القريبة والبعيدة، لذا اتسم الخطاب الثقافي الغربي بنزعة التمركز (سلدان، 1998، ص 156) حيث عمل مثقفو هذه النظرية على فضح المستعمر الغربي وتمركزه.

3- **غربة المنفي:** ان أغلب مثقفون النظرية عاشوا غربة المنفي إلي المدن الكبري، وانطلقوا من وعي رافض لخطابات المركز الأول، وكان هدفهم تفكيك محاولات الهيمنة على بلدانهم الاصلية وهذا ما يعني انهم يعيشون تمزقا ذاتيا فهم ينتمون إلى هويات حضارية مختلفة ومدارس فكرية متعددة، وخير من يمثل هذه الغربة (ادوارد سعيد" والذي تحدث عن المنفي بقوله "فالمنفي معناه أن تظل على الدوام هامشيا" (سعيد، 1997 ، ص70) وهذا يعني ان المنفيين لا راحة لهم، كما هو حال "جوليا كريستيفا"[2].

4- **تفكيك الخطاب الاستعماري**: تعتبر هذه النقطة من أهم مرتكزات واهداف النظرية فهي ترمي إلي فضح الاستعمار وتفكيك مقولاته المركزية التي تعبر عن الهيمنة والتمييز العرقي والطبقي، حيث وجد كتاب نظرية ما بعد الاستعمار في منهجية التفويض التي تصلح بها الفيلسوف الفرنسي "جاك دريد" اليه منهجيه لتفكيك الخطاب الإستعماري (كارتر، 2018، ص125)، اعتمد هذه التفكيكية مثقفو النظرية في دراستهم وابحاثهم، وكان "سعيد" رائدهم في ذلك.

5- **الدفاع عن الهوية الوطنية والقومية**: يرفض مثقفو ورواد النظرية الاندماج في الحضارة الغربية وانتقدوا سياستها التي تدعو إلى التهميش والمركزية والإقصاء إذ دعوا في المقابل إلى ثقافة وطنية أصلية ونادوا بالهوية الوطنية القومية ودافعوا عنها. ومن هؤلاء كتاب ومبدعو الحركة الزنجية التي يتزعمها كتاب أفريقيا والمبدعين السودانيين كالشاعر "محمد الفيتوري" الذي خصص أفريقيا بمجموعة من الدواوين كديوان " أغاني افريقيا" (عيشونة، 2015، ص 181)، وتناول فانون متأثر بهم عدة مفاهيم عن الثقافة الوطنية، انطلاقا من نظرية الزنوجة.

6- **التعددية الثقافية**: دافع مثقفو النظرية عن التعددية الثقافية، ورفضوا التمركز الثقافي الغربي والثقافة الواحدة المهيمنة، كما رفضوا سياسة التدخين والتغريب والإقصاء، ونادوا بالانفتاح الثقافي، وذلك عبر آليات الثقافة والترجمة والنقد والتفاعل الثقافي، بمعني أن ثمة ثقافات جديدة إلى جانب الثقافة الغربية المركزية، كالثقافة العربية، والثقافة الإفريقية، أي هناك ثقافات متعددة ومتداخلة، متلاحقة، هجينة (زكور، 2017، ص 22) بمعني ليس هناك ثقافة مهيمنة، بل ثقافات متلاحقة ومتداخلة معاً.

7- **العلاقة بين المستعمر والمستعمر:** إن فعل الكتابة في أي نوع من النصوص في مجالات ما بعد الكولونيالية هو موضوع للسيطرة السياسية والتخيلية والاجتماعية الكائنة في العلاقة بين المستعمر

---

[1] صامويل هنتجتون Samuel Huntington (1927-2008) أستاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيكونون الحضارات وليس الدول القومية. Samakalika Sahithya Sidhantham, pp 74-75.

[2] جوليا كريستيفا (1941م) عالمة لسانيات، محللة نفسية، فيلسوفة ونسوية فرنسية من أصل بلغاري أصبح لكريستفا تأثير في التحليل النقدي الدولي، من الناحية النظرية الثقافية والنسوية بعد نشر كتابها الأول Semeiotike في عام 1969م، أنتجت كمية هائلة من الأعمال وتشمل الكتب والمقالات التي تعالج التناص. والسيميائية، في مجلالت اللسانيات. ونظرية الأدب والنقد. والتحليل النفسي والسيرة. السيرة الذاتية والثقافية وتحليل الفن وتاريخ الفن.

والمستعمر وعليه يمكن القول بأنها "تلك العلاقة التي تحدد صفاتها الأساسية المميزة في فكرة الديالكتيك ذاته القائم بين الإمبراطوري والكولونيالي. (آشكروفت، مرجع سابق، ص 53) أن هذه العلاقة تطرح العديد من القضايا التي تتعلق بإمكانية التخلص من الكولونالية، ومنها تحيزات العرق، والجنس، واليات القمع والاستغلال، وتمثيلات التابع .... الخ.

رواد النظرية ما بعد الكولونالية (الغرب / العرب)

كما لكل نظرية نقدية مفهومها ودعائمها وإجراءاتها، لها رواد فاعلين تأسست وتطورت بفضلهم، فهم بمثابة شخصيات محورية بقدر كبير في أرساء معالمها، كما ساهم الكفاح المناهض للاستعمار على ظهورهم، فارتبطت أسماءهم برفض الأنظمة الاستعمارية، إذ ثمة مجموعة من الكتاب والنقاد والمثقفين مثلو نظرية ما بعد الكولونالية، ورفعوا لواء هذا المشروع، فاتبعوا أنماط فكرية ونقدية جديرة بالتنويه للرد علي الهيمنة الامبريالية، وتجلت في شكل خطابات نقدية مضادة أو سرود أدبية مضادة، ونذكر في هذا الصدد روادا من المفكرين والنقاد، سواء كانوا ينتمون إلي الغرب أو إلى العرب.

1- فرانز فانون: (Frantz Fanon)[1] 1925- 1962:

يعد " فانون " من الرواد الأوائل لتنظير حركة الدراسات ما بعد الكولونالية، بما الفه وألقاه ومن أشهر أعماله "معذبون في الأرض" "the wretched of earth"، " بشرة سوداء واقنعة بيضاء" "Pcau noir masques blance" – إذا أصبحت كتاباته صفحات ملهمة للمفكرين من بعده، فهو من الوجوه المؤثرة في حياتنا الحالية.

ويعتبر كتابه "بشرة سوداء" من النصوص الأولي المبشرة بالدراسات ما بعد الكولونالية. أذ أنه تناول عدة مفاهيم عن الثقافة الوطنية محاولا أن يعيد الاهتمام بخصوصية الأمة / الوطن، وتاريخ النضال المناهض للاستعمار انطلاقا من نظرية إفريقية واسعة للزنوجة، وبفضل هذه الرؤية اكتسب هذا المفهوم "الزنوجة" انتشارا واسعا، وشكل حركة ثقافية فنية تقوم على مناهضة الاستعمار، وغرس الروح الافريقية (نلووف، 2005، ص 347).

ففي هذا الكتاب أستعان "فانون" بعلم النفس وذلك لتحليل نفسية صاحب البشرة السوداء، والذي استعان بالقناع الأبيض، ويوهم نفسه انه ينتمي إلى ذلك المجتمع الأبيض، ويعيش اغترابا في عالم غير عالمه، وفضاء غريب عنه، بذلك يعيش قلقا نفسيا يضعه في عالم الدونية، مقارنة بالإنسان الأبيض، فهو من يري نفسه متعالية على أصحاب البشرة السوداء، اذا يري من خلالهم جسده الأبيض اكد ذلك في قوله "فالشعوب المستعمرة ليست مجرد اشخاص تم استغلال عملهم، وانما اشخاص نشأت في روحهم عقدة نقص بسبب موت أصالتها الثقافية والمحلية" (Fanon,1952,p46).

وأحتل فانون الصدارة بامتياز في المجال الأدبي والنقدي والنفسي، وأسس اتجاه اطلق عليه "الفانونية" وصفت بأنها "نظرية العالم الثالث" كما ظهرت أطروحات "فانون" في كتابة "معذبو الأرض" والذي اكتسب أهمية كبيرة "أقرب إلي القدسية بالنسبة إلي مثقفي الدول التي مازالت تدعي بدول

[1] فرانز فانون (1925-1961م) طبيب نفساني اجتماعي أسود. من مواليد المارتينيك، عرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية. حارب ضد النازلين في الحرب العالمية الثانية. عمل طبيبا عسكريا في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي. وكان ناشطا سياسيا ومناصرا لثورة التحرير الجزائرية. وهناك من يتصور أن جاك دريدا مؤسس التفكيكية. وجان فرانسوا ليوتار فيلسوف ما بعد الحداثة. وإيلين سيكو الناقدة النسوية. كلهم قد نشأوا في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي. وقد كان تواجدهم هناك من العوامل الرئيسية التي حفزتهم لتفكيك خطاب التفوق الغربي والمركزية الأوروبية. توفي من مرض صعب ودفن في مقبرة مقاتلي الحرية الجزائريين. أمن بأن ما أخذ بالقوة لا يستعاد إلا بالقوة من أعماله: بشرة سوداء وقناع أبيض (1952م)، ومعذبو الأرض (1961م).

العالم الثالث، غير أنه تم تجاهل أو إساءة فهم الكتاب من قبل دول العالم الأول" (بعلي، مرجع سابق، ص 96)، وفي هذا الكتاب لا يطمح فانون إلي محاربة الغرب، فكل ما يعلمه أن الاستعمار لا يمكن اقتلاعه الا بممارسة سياسة العنف، وذلك من خلال تناوله لقضية المستعمر والمستعمر فكتابه هو "نتاج لثورة ضد الاستعمار الكولونيالي في مستعمرات الاستيطان" (غبسون، 2013، ص 27).

اهتدي فانون في كتابه بعد عرض رؤية الشعوب المستعمرة لظاهرة الاستعمار والعنف الذي خلفه إلى طريقة مواجهة الظاهرة الاستعمارية، عن طريق العنف، فهي الوسيلة الوحيدة للحد من سيطرة الاستعمار ومواجهته، أكد "جون بول سارتر[1]" **(Jean Paul Sarter)** ذلك في مقدمة هذا الكتاب بقوله إن "فانون" أول من أعاد بعد "انجليز" اكتشاف دور العنف في التاريخ والواقع أنه إذا كان "انجليز" قد رأي أن في العنف "فأبليه التاريخ" فإن "فانون" رأي فيه وسيلة للتطهير في المقام الأول. وذلك أن العالم الكولونيالي هو في جوهره عالم ملوث، وما لوثه هو الاستعمار، والعنف هو أداة الإنسان المستعمر لتطهير ذاته ولإعادة بنائها كانسان جديد يري من طاعون الهجانة التي هي السمة الأكثر تمييز للمجتمعات الكولونيالية (طرابيش، 1988، ص 43 – 44) ونتيجة لأهمية العنف في دراسات فانون إذا اعتبره الأداة التي تعيد للإنسان المستعمر ذاته وشخصيته.

تم الارتقاء بفانون إلى مصاف "نبي العالم الثالث"، إذا أن "فانون" واثناء تناوله لقضية العنف لا يستند في ايمانه بالعنف لاعتبارات عنصرية أو خلفية انتقامية بل اقتناعاته بضرورة العنف فهو السبيل الأوحد لفك الاستعمار، ويري أن الفعل الاستعماري قد تم على نحو عنيف في حق الأصليين، وأشار "غبسون" قائلا: "علي مستوي الأفراد يكون العنف قوة تطهيرية (La violence désintoxique) فهو يحرر المواطن الأصلي من عقدة النقص لديه ومن يأسه وقعدوه عن العمل إنه يجعله يتخلص من الخوف ويستعيد احترامه لنفسه" (غبسون، مرجع سابق، ص29) يتضح من ذلك أن فانون ركز على العنف كوسيلة للتحرر بصورة ملائمة لا بشكل وحشي ومن خلال تطهير الذات.

أصبح فانون مدركا للعبة التي تلعبها الخطابات الاستعمارية، الموجهة للتلاعب في مصير الشعوب المستضعفة، وقد ساعده في ذلك دراسته للقضية الجزائرية وتجربته التي عاشها إبان الاستعمار الفرنسي، وتحليل الواقع التاريخي للجزائريين في علاقتهم بالأخر، وبذلك "آمن فانون بأن الثورة هي الطريقة الوحيدة إلى تحرير الإنسان، وبأن العمل الثوري هو السبيل إلى أن يتجاوز وضعه" (فانون،2015، ص11).

العنف هو لغة الصراع في البلاد المستعمرة، والثورة هي الطريق الوحيد لتحرير الفرد من كل وسائل الاضطهاد والقمع. " قد أكد منذ ولادته إدراكا واضحا أن هذا العالم المضيق، المزروع بأنواع المنع، لا يمكن تبديله إلا بالعنف المطلق" (فانون، المرجع السابق، ص13) ولهذا كانت عبارته الشهيرة "العنف المطلق" عبارة ثورية يبشر بها خطابه ما بعد الكولونالي.

---

[1] جون بول سارتر: دون بول شارل ايمارد سارتر Jean-paul Charles Aymard Sartre (21 جوان 1905-15 أفريل 1980)" ولد بباريس، بدأ حياته الدراسية في أكتوبر 1915 بثانوية هنري الخامس بباريس، وقد كان ناجحا في دارسته، إذ قال عنه أستاذه أنه كان ممتازا في جميع الميادين، وفي سبتمبر 1933 ذهب إلي ألمانيا حيث درس الفلسفة الألمانية بالمعهد الفرنسي ببرلين، واهتم بدراسة فلسفة إدموند هوسرل وفلسفة مارتين حميدجر، وهنا كتب مقالته الأولي المشهورة بعنوان التخيل l'imaginaire، وفي سنة 1938 كتب سارتر روايته الأدبية المشهورة الغثيان la Nausée، كما اتبعه سنة 1943 بكتاب بعنوان الوجود والعدم L'etre et le néant، جعله كمفكر ضمن الفلاسفة الوجوديين والمعاصرين. أنظر: (عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبة بمديولي، دط، الجزائر، ص 12,11).

ومن الواضح بعد هذا العرض المؤجر أن "فانون" هو من مهدا لطريق أمام الكثير من الكتاب والمناضلين من جاء بعده، لمجابهة التمركز الغربي بالعنف، ولهذا كانت كتاباته دافعا للحركات الثورية، لما فيها من تشجيع والحث إلى النضال والمقاومة، وذلك من أجل الحرية والكرامة المسلوبة.

2- ادوارد سعيد [1](Edward Wadie Said)

انشغل "سعيد" ومن ضمن النقاد المثقفين العرب بخطاب ما بعد الكولونيالي من خلال توجهه نحو قضايا يقع مضمونها حول الدراسات ما بعد الكولونيالية فهو أول من أسس لهذا الحقل، وإن كان المبشر الأول لها هو "فرانز فانون" تبلورت سمات وأطروحات الدراسة ما بعد الكولونالية من خلال مؤلفاته – الاستشراق الثقافة والامبريالية، ركز "سعيد" في نقده علي ما هو اكبر من التحليل النظري "الذي يوضح فهم الأيديولوجيا وراء كتابه التاريخ، واستخدام النقد الملموس في القبض علي نمط الإنتاج الادبي" (شيلي، 2006، ص 88) وهذا ما يعني أن "سعيد" لم يقع بنفسه في فتح الانبهار والانحراف بالآخر بل تعامل مع الغرب وثقافته بعين النافد، لهذا انطلق في منهجه من إيمانه بالإنسان، الحرية، التفاعل، والاثراء المتبادل بين الثقافات، والصراع ضد الاستعمار والامبريالية بفعل قوة فكره ونقده.

ويعد كتاب "الاستشراق" خير مثال ونموذج في مسار النظرية ما بعد الاستعمارية، فقد تبوأ هذا الكتاب مكانة عالية فهو نقطة تحول في مسار نظرية الادب الحديثة، تقصي فيه أبعاد الهيمنة والسيطرة الغربية على الشرق، وهذا ما أكده قوله إن "الاستشراق خطاب أو إنشاء، لكنه لا يعكس حقائق أو وقائع، بل يصور تمثلات أو ألوان من التمثيل، حيث تتخطي القوة والمؤسسة والمصلحة، إنه خلق جديد للآخر". (سعيد، 2006، ص31)، هذا ما جعله يعمل في كتابه على تفكيك الخطاب الأيديولوجي والذي غرضه التحكم في العالم الآخر (الشرق)، فكان من أهم القضايا التي تناولها هو كيفية تشكيل الأمم معرفيا.

علاقة المعرفة بالقوة: من وجهة نظر "سعيد" يعمل الاستشراق في خدمة السيطرة الغربية على الشرق في صورة "الأخر" أو نظام الخطاب والذي هو قرين "نظام الهيمنة" الذي يتأسس على إساءة الهيمنة الناجمة عن عمليات التخيل والقولبة. (سعيد، 1997، ص 95).

ينحو "سعيد" هنا إلى كشف الامبريالية الغربية من خلال تأكيده على العلاقة المتبادلة بين المعرفة الكولونالية من جهة والسلطة الكولونالية من جهة لذلك "يبرز "إدوارد سعيد" في دراسة التكوين المؤسسي للاستشراق وارتباطه بالمصالح السياسة والغربية من حيث أن ازدهار الشرق جاء موكبا للتوسع الاستعماري والإمبريالي الغربي فهو معرفة تنتج القوة، (بعلي، مرجع سابق، ص 79) عمد "سعيد" إلي اكتشاف العلاقة بين الحقيقة والواقع وكيفية خدمة المعرفة للهيمنة، فلم تكن معرفة الغرب للشرق معرفة برئية بل كانت تخدم مصالحها السياسة.

[1] إدوارد سعيد (1935-2003م) ناقد أدبي وأكاديمي في جامعة كولومبيا الأمريكية، فلسطيني الأصل ولد في مدينة القدس وتوفي في نيويورك عام 2003م، أحد أبرز المدافعين عن القضية الفلسطينية في الولايات المتحدة. وسعي من خلال كتاباته إلى تفكيك الأسس المعرفية للخطاب الكولونيالي وعلاقته بالسلطة يعتبر كتابة "الاستشراق" من دعائم دراسات ما بعد الاستعمارية. كما برز سعيد سياسيا كمناهض لاتفاقية أوسلو. وهو من الداعين إلى حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي مبني على حل الدولة الواحدة من أبرز أعماله الاستشراق (1978م)، ومسألة فلسطين (1979م)، والعالم، النص، والناقد (1983م) والثقافة والإمبريالية (1993م)، وخارج المكان (1999م)، وتأملات حول الماضي (2000م)، والفكر الأنسنية والنقد الديموقراطي (2003م).

يشير "سعيد" إلى أن هناك ستون ألف كتاب عالج مشكلات الشرق ما بين 1800 و1950 ولا يبدو غريبا أن تكون هذه النصوص ومن حيث هي أداة للهيمنة " وعبر أوليات التمثيل " وراء الصورة المبتكرة أو المتخيلة ومنذ زمان لـ "الشرق المبتكر" المتخيل بدوره (سعيد، 2006، ص 72).

أراد "سعيد" أن يوصل إلى فكرة أن الغرب عمل على تحصيل توصف الشرقين بأبشع الأوصاف عبر أوليات التمثيل والصور النمطية لذلك الشرق، الذي يصفه بالسذاجة والتخلف وأردف في ذلك قائلا: "ومن الآن يظهر الشرقيون والعرب سذجا غافلين محرومين من الحيوية والقدرة على المبادرة مجبورين علي حب الاطراء الباذخ والدسيسة والقسوة على الحيوانات.. وهم في كل شيء على طرف نقيض من العرق الأنجلو... في وضوحه ومباشرته ونبله" (سعيد، مرجع سابق، ص82).

تطرف "سعيد" أيضا إلى علاقة الذات بالآخر والتي تدخل في لب الدراسات ما بعد الكولونالية واقصاء الغرب "الاخر" "الشرق" الصالح الذات (الغرب) ولذلك أكد "سعيد" على النظرة الدونية التي يكنها الغرب للبلدان المستعمرة.

أراد "سعيد" أن يقدم قراءة جديدة للخطاب الكولونالي في كتابه **"الثقافة والامبريالية"** "قراءة متوازنة لما كتبه الغرب وما كتبه العالم الثالث عن بلادهم" (بعلي، مرجع سابق، ص 82) ونظر لأهمية هذا الكتاب صرح العديد من النقاد بإنه كتاب يعبر عن فكر جديد حيث أعطي اهتمام كبير للعلاقات الجدلية بين الثقافة وتاريخ الامبريالية، وذلك تمكن من تناول العديد من المناطق الجغرافية تتجاوز الشرق، أي العالم الإسلامي والشرق إنها الكتابات الأوروبية عن أفريقيا والهند وبعض مناطق الشرق الأقصى وأستراليا وجزر الكاريبي، " أنني لأعتبر هذه الإنشاءات الإفريقية والهندية يسمي بعضها جزءا من مجمل الجهود الأوربية لحكم بلدان وشعوب نائية، واعتبرها لذلك مترابطة مع الأوصاف الاستشراقية للعالم الإسلامي". (سعيد، 2014، ص 57) عمل "سعيد" في كتابه على طرح نموذج جديد من الدراسات الإنسانية، ضمن القضايا التي تناولتها الثقافة ودورها في خدمة الإمبريالية.

أكد "سعيد" في هذا الشأن قائلا "النظرية التي أقدمها في هذا الكتاب هي أن الثقافة قد أدت دورا هاما جدا بل لا غني عنه بحق، فلقد كانت تقبع في سريداء من الثقافة الامبريالية إبان العقود العديدة من التوسع الإمبريالي والتمركزية الأوروبية". (سعيد، 2014، ص11).

شرع "سيعد" في كيفية تشكيل الأمم معرفيا عن طريق السرديات، وذلك بتظافر الخطاب الروائي مع المشروع الامبريالي، في انتاج أشكال معرفية وتمثيلات نمطية عن الآخر، وكيف لعبت الرواية الأوربية دورا بالغ الأهمية في المساعدة علي صهر المواقف الامبريالية الغربية تجاه العالم فالثقافة الغربية هي ثقافة تمركز حول الذات ولذا عملت على تكريس الرواية تجاه الآخر وثقافته وقدم قراءات نقدية لأعمال كثير من الادباء الغربيين، روائيين وشعراء من منظور نقدي ما بعد كولونالي، وقام "سعيد" بتفحصها وفكفكة خطابها، وتوصل أخيرا إلى أنها خطابات كولونالية تسعي لتكريس الهيمنة ومن بينها على سبيل المثال نجد رواية "قلب الظلام" لـ "جوزيف كونراد"، وكذلك الشاعر الرومانسي الإنجليزي "بيتش" و "جيمس جويس" (سعيد، مرجع سابق، ص 10 – 11).

تبني "سعيد" أثناء تناوله لعلاقة الثقافة والإمبريالية "القراءة الطباقية" والتي تشمل العملية الامبريالية وعملية المقاومة لها، ويعرض "سعيد" هذه القراءة كمقترح لتخفيف من فائض التحيز الذي يغمر الكتابات الغربية عن العالم الثالث (فخري، 2003، ص 20).

مما تناولنا سابقا نجد أن نصوص "سعيد" النقدية في "الاستشراق" و "الثقافة الامبريالية" لعبت دورا عظيما في نشأة وتطور "دراسات ما بعد الكولونالية"، وكان لنقده أثر على العديد من مناطق العالم الثالث لكشف الصورة الحقيقية للعالم الغربي وافكاره الكولونالية.

3- هومي بابا (Homi Bhaba[1])

يعتبر الناقد الهندي "هومي بابا" أحد منظري النظرية الأكثر تأثيرا في هذا التيار الثقافي، وهو مؤلف مقروء كثيرا ومشروح في جميع أنحاء العالم، وصف "هومي بابا" من قبل مترجم كتابه "موقع الثقافة" "The Location Of Culture" بأنه "واحد من المتون الأساسية في النظرية ما بعد الكولونيالية المعاصرة واضعا "هومي بابا" كواحد من أبرز المنظرين ما بعد الكولونيالية." (بابا، مرجع سابق، ص12) وعلى الرغم من تعقيد فكره حمل أهم القضايا على عاتقة، كالهوية، تفسير العلاقة بين الذات والآخر التنوع، الانتماء القومي، والهجنة ، وحاول "بابا" اثارة مجموعة من الإشكاليات المتعلقة بعالم ما بعد الاستعمار، وقام بإبراز اشكال المقاومة الممكن توظيفها لمحاربة اشكال الهيمنة والتسلط المسيطر عليه من قبل الأخر (بابا، المرجع السابق نفسه) وبهذا المعني فأن ما قدمه "بابا" من عمل ليس مجرد اكتشاف لأوضاع البلدان الكولونالية وما بعدها بل كان منشغلا بذلك الاهمال الذي نال الهوية، وتفسير العلاقة بين المستعِمر والمستعَمر.

يري "بابا" ن لقاء المستعِمر بالمستعَمر لقاء اثر فيهما معاً ، فالاستعِمار بكل ما فيه من إزاحات ولا يقينيات هو خبرة غير مستقرة بشكل جذري وتنم عن الهامشية وما مصير المستعَمر (بالفتح) إلا تشكيل للتشظية ولا مدرك وفق مفاهيم ما بعد البنيوية، من ناحية ومن ناحية أخري، أن الخبرة الاستعمارية أثرت بالمستعِمر (بالكسر) الذي لم يعد بمقدوره الهروب، من إتمام علاقة معقدة ومتناقضة ظاهرية مع المستعمر (بالفتح) وأن هويته غير مستقرة قلبا وقالبا" (عبد الستار الاسدي، هومي بابا ورؤي ما بعد الكولونالية، 2010، https://www.blgger.com).

ووفقا لذلك يري "بابا" أن القاء الذي يتم بين المستعمر والمستعمر ولد تفاعل بين الثنائيين وهذا التفاعل إثر عليهما معا، وكما يري أن اندفاع الغرب إلى استعمار الأخر راجع بالأساس الي الكيفية التي قدمت بها ثقافة الآخر الأجنبي، ثقافة المركز.

فسر "بابا" في مجموعة من مقالاته كيف أن نقد ما بعد الاستعمار غير إلى حد كبير طبيعة ما بعد الحداثة، ويعد كتابه "موقع الثقافة" كتاب مثير وفريد من نوعه ضاما بين تناياه ولأول مرة بعض أهم الكتابات في مجال النظرية الأدبية والنقد الثقافي (مصطفي، موقع الثقافة، 2014، http://ar.morocooworldnews.com/?p=57117.

طرح "بابا" قضية التمثيلات الكولونالية، بوضعها تمثيل عرقي وثقافي، وقومي، والتي بدورها تصنع ارباكاً في مفهوم التاريخ الثقافي للمجتمعات الخاضعة لسيطرة التمثيل الكولونالي وأشار "بابا" إلي أن المصطلحات التي نتقاذفها، مثل " التعددية الثقافية، والتنوع الثقافي"، وتعدد الهويات، فلا يعود بمقدورنا أن نستخدم تلك الكلمات بما نستخدمها فيه من رضا وبداهة دون تفكير ذلك أن "الهجنة"،

[1] هومي بهابها ولد سنة 1949 أكاديمي هندي أستاذ الأدب الأمريكي والبريطاني في جامعة هارفرد حيث يرأس مركز الدراسات الإنسانية هناك. برز اسم هومي بابا من خلال طرحه مفهوم "التهجين" لتفسير نشوء أشكال ثقافية جديدة في عالم التعدد الثقافي. أبرز أعماله: أمم ومرويات (1990) – موقع الثقافة (1994) – حول الخيار الثقافي (2000) حياة جامدة (2004).

والتجاذب والانشطار، والاختلاف الثقافي، لا التعددية الثقافية، تشق الهوية وتجعلها ضربا معقدا من التقاطع والتفاوض بين فضاءات مكانية وزمنيات تاريخية وموقع للذات متعددة علي نحو يضعنا إزاء، بل في ما هو "ليس هذا أو لا ذاك" بل شيء آخر بجانبهما، بل فيما هو أقل من واحد ومزدوج (بابا، مصدر سابق، ص 21).

وظف "بابا" اثناء دراسته للعلاقة القائمة بين المستعمر والمستعمر ترسانة من المفاهيم الفكرية، والتي أصبحت لصيقة باسمه، مثل مفهومه "للهجنة" Hybridity، ولتوضيح مفهومها أكثر يمكن القول أن الهجنة يستخدمها بعض النشطاء الكاريبيين والأمريكيين اللاتينيين بصورة أكثر وعيا، إستراتيجية مناهضة للاستعمار، أشهرهم الكاتب الكوبي "روبرتو فيرنا نـدير ريتمار"، ففي مقالة متميزة له سنة 1971، يكتب "ريتمار" قائلا: إن أمريكتنا الهجينة فريدة في عالم الاستعمار، ذلك معظم سكانها ممتزجون عرقيا، وهي مستمرة في استخدام "لغات مستعمرينا" والعديد جدا من أدواتهم المفهومية ... هي أيضا الآن أدواتنا المفهومية", (لومبا، مرجع سابق، ص 178)، ومن هذا المنطلق فان الهجنة تدل علي الامتزاج والتداخل والاندماج للثقافات وتحمل قدر كبير من الهجنة، وبذلك فهي ليست نقية.

استمد "بابا" مفهوم الهجنة من نظرية "إدوارد سعيد"، ثم طوره، وتمكن بابا من جعله وسيلة لتوجيه انتقادات لاذعة للسلطات الاستعمارية، تقوم بفضح أساليبها وتسعي إلى ادانة مشاريعها، وقد قام مشروعه الفكري على استكشاف الموقع الثقافي الهجين والبيني، فهو على قانعة تامة بأنه لا يمكن النظر إلى المستعمر والمستعمر على أنهما كيانان منفصلان يحدد كل منهما ذاته على نحو مستقل" (تلمساني، 2012، ص44).

تناول "بابا" من خلال تركيزه علي فكرة الهجنة فكرة الذوات في عوالم ما بعد الكولونيالي مؤكدا في كتابه قائلا: "لاكتشاف الموقع الثقافي الهجين والبيني مدافعا عن موقع نظري يلفت من ثنائيات الشرق والغرب، والذات والآخر والسيد والعبد والداخل والخارج موقع يتغلب علي الأسس المتعينة ويكشف عن فضاء من الترجمة لا تكون فيه الهويات منسوبة إلي سمات ثقافية متعينة مسبقا وغير قابلة للاختراع وقائمة خارج التاريخ (بابا مرجع سابق، ص11) يتضح من هذا النص أن الذوات في امتزاجها وهجنتها لا في انفصالها، اذ ينظر في جوانبها المشتركة والهجينة.

ومن خلال ما تم عرضه نخلص إلي أن "بابا" سعي كغيره من منظري ما بعد الكولونالية إلي مناهضة وتفويض وتفكيك الخطابات الاستعمارية والسرديات الكبري التي تعمل علي إقصاء الآخر الاصلاني وتهميشه، فقد حظي كتابه بأهمية وعناية من قبل المفكرين والنقاد، لأنه اهتم بتلك الفئة المهمشة التي عملت علي زحزحة المركز ورد الاعتبار لثقافات الأطراف، فهو فاتحة المجال لما يسمي بالهجنة الثقافية وما تهمله من معاني التعدد الحوار والتسامح، وكانت الهوية من القضايا التي جاء بها "بابا" والتي تقع في صلب الخطاب ما بعد الكولونالي وكذا قضية المستعَمر والمستعمِر وهي بمثابة المحور الأساسي في الدراسات ما بعد الكولونالية.

4- جياتري سبيفاك [1](Gayatrs Spicak)

[1] جاياتري شكرفارتي سبيفاك (1942م) باحثة وناقدة هندية. وهي أكاديمية في جامعة كولومبيا الأمريكية تصنف نفسها على أنها ماركسية نسوية تفكيكية عملية وشكلت مقالتها هل يمكن للتابع أن يتكلم؟ محطة مهمة في خطاب ما بعد الاستعمارية بشكل عام ودراسات التابع بشكل خاص. أبرز مؤلفاتها: في عوالم أخري: مقالات في السياسية الثقافية (1987م) ودراسات مختارة عن التابع (1988م). وناقد ما بعد الاستعمارية (1990م) ونقد ما بعد الاستعماري (1999م).

تمثيل "سبيفاك" أحد أقطاب الثالوت المقدس للنظرية ما بعد الكولونالية، تأثرت عميقا بفلسفة "دريدا" وهذا ما انعكس حضوريا على أعمالها من خلال المنهج التشكيلي الذي تبنته.

وتعد "سبيفاك" من أهم النقاد في مجالي الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونالية، وتعرف "سبيفاك" باستخدامها الواضح للنظريات السياسية والثقافية المعاصرة لتحدي الإرث الاستعماري، والذي في الغالب يتركز في النصوص الثقافية للذين تهمشم الثقافة الغربية المهيمنة كالمها جرين الجدد والطبقة العاملة والنساء (العلي، كاظم "من رموز المرأة: غاياتري شاكرا فورتي سبيفاك) http://www.alnoor.se/article.asp?id=95150.

فهي أول منظرة نسوية، لذا اهتمت بالدفاع عن المرأة الشرقية، ومواجهة الهيمنة والدفاع عن المهاجر وودعت إلى الاهتمام بالأدب والثقافة، فهي تمثل مثالا معبرا عن مشروعها وبالأخص اهتمامها بالأخر وثقافتها الهندية المحلية.

ظهرت أول كتابتها عن "النسوية" في العالم الثالث عام 1981 على شكل مقال تحت عنوان (الحركة النسائية الفرنسية في إطار دولي) حيث عالجت فيه قضية علاقة كتابه التاريخ بالتعليم في إطار الوضع الاستعماري في بلدها الهند، ولاحظت سبيفاك مدي تعرض التاريخ للعنف الأبستمولوجيا وجعله خادما للقوي الامبريالية الاستعمارية البريطانية في المنطقة، حيث أعيد تشكيل التاريخ الهندي المكتوب بقلم المستعمر بطريقة أريد منها تشكيل التاريخ الاستعماري لخدمة القوي الامبريالية ومصالحها في المنطقة وجعل تلك الشعوب مجرد توابع خاضعة لأيديولوجيتها (بن علي ،2018، ص65) وهذا ما أكدته "بسمة جديلي" في أن الاستراتيجيات النسوية ونظرية ما بعد الكولونالية تتدخلان وتبادلات الفائدة، فهناك توازن واضح بين تاريخ النظرية النسوية، والنظرية ما بعد الكولونالية والذي تشير إليه رائدات في النقد النسوي مثل دوريس ليسينغ ، وجاياتري شاكرافورتي (جديلي، 2016، ص 15)، ولنا هنا أن نحدد المحاور السياسية التي يرتكز عليها فكرها النقدي والتي تراهما في النقد النسوي والنقد الكولونالي وما بعد الكولونالي.

إن "سبيفاك" تنتمي إلى التفكيك التطبيقي والحق يقال إنها تحارب على جهتين "الأولي جبهة الثقافة الذكورية للمؤسسة والمكرسة في الخطابات الفكرية في المجتمعات الغربية، والثانية جبهة بقايا التأثيرات الاستعمارية في العالم المستعمر سابقاً ، فضلا عن تهميش المرأة في العالم الثالث، وبنياته الاجتماعية والثقافية والتربوية والسياسية (عمر، غياثري سبيفاك، امرأة تحارب التبعية والذكورية وبقايا الاستعمار، 2014، https://alatab.co.uk)

استندت "سبيفاك" إلى منهجية تحليله نسوية تفكيكية ماركسية ثقافية خاصة في مقالها "هل يمكن للتابع أن يتحدث" ?Can the Subaltern Speak (1988م) فخلال عقدين " نوقش هذا البحث وحلل في عشرات من الدراسات، والمناظرات والمؤتمرات، فارتبطت دراسات التابع، حيثما أثير الجدل الثقافي حول الهويات الثقافية، ومفهوم التبعية الخارجية "الاستعمارية والتبعيات الداخلية "الطبقية، والجنوسة" (عبد الله إبراهيم، هل يستطيع التابع ان يتكلم، 2005) الموقع: www.alriyadh.com

ـ دراسات التابع "subaltern studies" عند سبيفاك

ان دراسات التابع هي جزء من دراسات ما بعد الكولونالية في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، فهي لب الدراسات الثقافية كانت دراسات التابع من تأسيس "وهم نخبة من المؤرخين الهنود قلبوا مدونة

تاريخ الهند الرسمي المكتوب من قبل المؤرخين المتأثرين بالسياسات الاستعمارية البريطانية، واقترحوا إعادة كتابته في ضوء مفاهيم مغايرة متصلة بالتاريخ الشفوي المنسي الذي استبعدته النخب الاستعمارية" (إبراهيم، 2014، ص 51)، لهذا شكلت هذه الدراسات محورا رئيسا لأبحاث النقاد والمفكرين، لإعادة كتابة تواريخ الشعوب المستعمرة، وتعرية وكشف حقائق اخفتها تمثيلات المرويات الغربية.

قبل الشروع في الحديث عن "التابع" في دراسة "سبيفاك" ينبغي أن نقف عند مفهوم هذا المصطلح لأهميته في الدراسات النقدية لما بعد الكولونالية، اذ تعود اللفظة "التابع" subaltern الأولي إلي القرن السادس عشر، فقد كان التابع يومها يعبر عن رتبة تعني العريف في الجيش البريطاني دون رتبة الضابط، وهو من يتبع الأوامر وفق سلم التراتبيه العسكرية ، استخدمه المفكر الإيطالي "أنطونيو غرامشي Antonio Gramci، في كتاباته السياسية للإشارة إلي الفئات الأقل مكانة في مجتمعاتها، أكانت فئة إثنية، أو دينية، أو جنسية، أو عرقية .. إلخ ليستقر بعدها مصطلح "التابع علي الفرد الذي يعيش ضمن مجموعة مهمشة غير قادرة علي التعبير عن حاجاتها ورؤيتها ولا حتي كتابة تاريخها الخاص (ربوح ودعيش، 2018، ص 245).

استثمرت "سبيفاك" هذا المصطلح اذ شكلت لديها دراسات "التابع" هاجسا فكريا ليس كونها نافذة ما بعد كولونالية، وإنما باعتبار أن انتسابها لهذا الحقل من الدراسات لم يكن محض صدفة وإنما كان نابعا مما يمكن أن نسميه ثأرا فكريا من ماض هندي كولونيالي ملطخ بالتشويه والاستلاب الثقافي باعتبارها أولا سليلة المجتمع الهندي ثم باعتبارها "امرأة هندية" في مجتمع كان الانتساب فيه إلى الجنس النسوي محفوفا بالنيران. " وهكذا فإن عملها ينصب بشكل أساسي على الهامش والمركز للبحث في مكانة النساء بصورة مقارنة بين المرأة في العالم الثالث المهمشة والمرأة في العالم الأول السائدة، من أجل الوصول إلى خصوصية المرأة في العالم الثالث. (شمناد ، 2014، ص 40).

في هذا السياق توضح "قباني" كيف أن سبيفاك تضع المرأة الهامش في مقابل الرجل "الذكر" محور اهتمامها، وهي عندما تكسر المركزية الذكورية بالضرورة تحطم المركزية الغربية والاستعمارية، فطالما مثلت الشرق بالأنثي في حين مثل الغربي بالذكر باعتبار أن الآخر مثل الشرقيين بأنهم "أناس فاترو الهمة بتزاخون في غرف الحريم، ولا يشبهون في شيء الإنجليز أصحاب الهمة والنشاط. (قباني، 1999، ص40). فهذه الصورة التي تهدف إلى إضعاف الشرق جعلت الأمة المستعمرة سابقا ما تزال تحس إحساسا ساحقا بدونيتها "المؤنثة" إزاء رجولة ثقافة الغرب وفحولتها. (طرابيشي،1997، ص 10).

بناء على ذلك ان المرأة المضطهدة والأخر المستعمر لدي سبيفاك توازي الشرق باعتبار أنهم غير قادرين على تمثيل أنفسهم، أمام الهيمنة الغربية وحين يصبح الذكر يقابل الغرب فإنه سيوحي إلى السلطة الاستعمارية لأن "المؤسسة الثقافية الذكورية ازدادت قوة واتساعا من نشوء المقاومة النسوية لها، لان الأخيرة تستمد وسائلها من خطاب الهيمنة ذاتها. (الغذامي، 2015، ص 46).

أنطلق عمل "سبيفاك" بدأ من مساءلتها هل "يستطيع التابع أن يتكلم" وما يترتب على هذه المساءلة من توفير سياقات ثقافية للتابع لكي يتكلم، بفضح طرق (المهيمن والمتبوع).

استخدمت "سبيفاك" مصطلح "التابع" للإشارة إلي جميع المستويات المتدنية من المجتمع الاستعماري وما بعد الاستعماري العاطلين علي العمل، والمشردين والمزارعين الذين يعيشون من مورد رزقهم وما إلي ذلك (شمناد، مرجع سابق، ص 40)، ولذا كان همها الدفاع عن الفئات المحرومة في المجتمع الاستعماري والذي يسعي لاستغلالها وكتم صوتها، والتحدث نيابة عنها، والتي تمثل الفلاحين والفقراء

والنساء والمظلومين، وعليه كانت دراسات التابع طريقة جديدة للمقاومة الثقافية فهي خطاب مضاد من المستعمر ضد المستعمر والذي سلب منه حق تمثيل نفسه حينما سلب منه حق الكلام.

ومن خلال كل ما تقدم لا يسعنا الا أن نقول أهم ما جادت به القريحة الفكرية "لسبيفاك" في دراستها ودراسة التابع بشكل خاص ما جعلها أحد الأصوات النقدية المفككة للاستعمار، والمناهضة للإمبريالية الغربية، في الهند وفي بقاع كثيرة من العالم، متضمنة في دراستها رؤي خاصة تسعي إلي قلب أبنية الهيمنة، من خلال تتبعها للأبعاد المعرفية والخطابية للتدخلات الكولونالية في الثقافات الأخرى، وتعد بذلك قطبا فعالا وبارزا لآيسهان به في الدراسات ما بعد الكولونالية والنسوية على حد سواء.

بناءا على ما سبق، نستنتج أن "فرانز فانون"، "إدوارد سعيد"، "هومي بابا"، مثلوا المرجعية الهامة لدراسة الخطاب ما بعد الكولونالي نظراً لأهمية الموضوعات النقدية التي أنجزوها، وحاولوا من خلالها كشف وفضح مكائد الخطابات الاستعمارية.

نتائج وتوصيات:

بعد تتبعنا لمسار "النظرية ما بعد الكولونالية" نورد أهم النتائج بعد العرض والتحليل بدءا بمفهوم الخطاب، وتعدد مرجعياته وانتهاءا بمجموعة من المثقفين، والذين ترجع أحوالهم إلى العالم الثالث، والذين حملوا على عاتقهم لواء الدفاع عن المقهورين، ومن أهم نتائج ذلك ما يلي:

- مصطلح ما بعد الكولونيالية يحيل إلى ما جاء بعد نهاية الاستعمار تقريبا في كل الدول فتسلح بها كتاب المستعمرات خاصة كتاب آسيا وإفريقيا، لمواجهة ومقاومة التمركز الغربي وتفويض ما يعرف بالقوة الأحادية المركزية الأوروبية.
- يدرس مصطلح ما بعد الكولونيالي بطرق شتي من بينها دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استقلالها، أي كيف استجابت للإرث الكولونيالي الثقافي أو كيف تغلبت عليه خلال الاستقلال.
- دراسة جميع ثقافات المجتمعات أو الأمم من حيث علاقات القوة التي تبرطها سواها من الثقافات أو الأمم الأخرى.
- نشأ مصطلح ما بعد الكولونيالي إثر انهيار الامبراطوريات الأوربية العظمي في العقد الرابع والخامس والسادس من القرن العشرين، مما أدي إلى بروز دراسات ثقافية مناهضة للهيمنة.
- رفضت النظرية التمركز الثقافي الغربي، والثقافة الواحدة، وسياسية التدجين والتغريب والاقصاء – ولم يقتصر كتاب هذه النظرية على العالم الثالث بل ضمت كتابا من المنظومة الغربية والذين ثاروا على الثقافة الغربية البيضاء.
- رفض رواد النظرية الأندماج في الحضارة الغربية ودعوا إلى ثقافة وطنية اصلية ودافعو عنها ويعتبر فانون من أبرز روادها والذي أسس اتجاه مميز أطلق عليه "الفانونية" وصفت بانها "نظرية العالم الثالث"
- يعتبر ادوارد سعيد من أهم اقطاب النظرية من خلال كتابه الشهير "الاستشراق"، فهناك شبه اجماع على الدور المؤسس الذي لعبه هذا الكتاب في اللبنات الأولي للنظرية ما بعد الكولونانية.
- يعد هومي بابا من أحد أقطاب النظرية ما بعد الكولونانية من خلال كتابه "موقع الثقافة".
- تعد سيبفاك اول منظره نسوية في مرحلة ما بعد الاستعمار والتي انتقدت الحركة النسوية الغربية نقدا عنيفا، وأهتمت أيضا بدور الطبقة الاجتماعية.

التوصيات

- البحث العميق في العلاقة القائمة بين السيطرة والثقافة، ولابد أن يتخذ فكر ما بعد الكولونالية مكانته في العالم العربي والإسلامي.
- علي المجتمعات العربية التحرر من الوصاية السياسية والاقتصاد والثقافية التي يمارسها الغرب، والوقوف في وجه التهميش والتغريب.
- الدعوة إلى توسيع الدراسات ما بعد الكولونالية لنقد الاستعمار واختيار انسب الطرق لمجابهة السياسات تبعا لإستراتيجيات الاستعمارية.
- تأسيس خطاب يسعي لتقدم الأمم والشعوب والوعي الدائم بأن الهوس الأوروبي وانشغاله بالعالم الثالث مستمرا إلى يومنا هذا، إذا اصبح للهيمنة اساليبها الدائمة للتجديد.

قائمة المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم، عبد الله، 2005، " هل يستطيع التابع أن يتكلم www.alriyadh.com.
- ابن منظور، أبو الفضل، 2005، *"لسان العرب"*، د.ط ج، 5، بيروت، دار صادر.
- أبو العزم، عبد الغني، 2011، *"معجم الغني"* " *موقع معاجم صخر"*.
- أبو شهاب، رامي، 2013، *الرسيس والمخاتلة خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر: النظرية والتطبيق*، ط.1، بيروت لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أدوار سعيد، 2006، "الاستشراق" ط.5، ت: كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
- ادوارد سعيد، 1997، "صور المثقف"، د.ط، ت: عفسان غصن، بيروت، دار النهار للنشر والتوزيع.
- إدوارد سعيد، 2014، "الثقافة والامبريالية"، ط.4، ت: كمال أبو ديب، بيروت لبنان، دار الأدب.
- ارزاخ، عمر، 2014، "امرأة تخارب التبعية والذكورية"، وبقايا الاستعمار htpps://alatab.co.uk.
- الاسدي، عبد الستار، 2010، "هومي بابا، ورؤى ما بعد الكولونالية" https://www.blgger.com
- البازغي ، سعد ، *"الإختلاف الثقافي وثقافة الإختلاف"* ، ط.1 ، المغرب ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي.
- آشكروفت، بيل وآخرون، 2010، "دراسات ما بعد الكولونالية: المفاهيم الرئيسية، ط.1، ت: أحمد الروبي وآخرون، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- باكر، كريس،2016، "معجم الدراسات الثقافية"، ط.1، ت: جمال بلقاسم، قسطنية، دار النشر الالمعية.
- بعلي، حنفاوي، 2007، " *مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن "* ط.1، الجزائر، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف.
- بن علي، لونيس، 2018، " *من نقدا الاستشراق إلي نقد الرواية الكولونالية"* ط.1، الجزائر، ميم للنشر.
- بيارف زيما، "2013"، النص والمجتمع افاق علم الاجتماع النقد، ط.1، ت: أنطوان أبو زيد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- بيل آشكروفت، وآخرون،2006، "الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ط.1، ت: شهرت العالم، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
- ن.، شمناد، 2014، "غياثري سيبفاك: منظرة هندية لخطاب ما بعد الاستعمار، مجلة ثقافة الهند، ع.1، م. 65، ص 40.
- تلمساني، صراح، 2012، "في مسرحية مأساة الملك كريستوف لايمي سيذار"، رسالة ماستر، الجزائر، كلية الآداب واللغات.
- جديلي، بسمة، 2016، "دراسات ما بعد الكولونالية من منظور أبرز اقطابها"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد التاسع، ص15.

- جون ماكليود، 2020، "نظرية الاستعمار والرواية"، ط.1، ت: أشرف إبراهيم زيدان، القاهرة، مؤسسة البيان.
- حسن، أيهاب، 2018، "تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة"، ط.1، ت: السيد أمام، بيروت، دار الرافدين.
- حمداوي، جميل، "نظرية ما بعد الاستعمار، الالوكة الالكترونية http://www.alakah.net
- الخضراوي، ادريس، 2012، *"الرواية العربية واسئلة ما بعد الاستعمار"* ط.1، القاهرة، رؤية للنشر.
- دعيش، ربوح، 2018، *"الاستشراق والاستعمار الامبريالية"*، ط.1، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع.
- دوغولاس، روبنسون، 2005، "الترجمة والإمبراطورية: الدراسات ما بعد الكولونالية"، ط.1، ت: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة.
- ديفيد كارتر، 2018، "النظرية الأدبية المعاصرة"، ط.1، ت: باسل المسالمة، دمشق، التكوين للطباعة، والنشر والتوزيع.
- راغب نبيل، 2003، *"موسوعة النظريات الأدبية"* ، ط.1، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر.
- رامان سلدان، 1998، *" النظرية الأدبية المعاصرة"*، ط.1، ت: جابر عصفور، القاهرة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- رنا قباني، 1999، "اساطير أوروبا عن الشرق" ط.3، ت: صباح قباني، دمشق، سوريا، دار كلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- روبرت، يانغ، 2003، أساطير كتابة التاريخ والغرب، ط.1، ت: أحمد محمود، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- روبنسون، دوغلاس، 2009، الترجمة والإمبراطورية، مجلة نذوي، العدد: ج، ص 88.
- الرويلي، البازغي، 2002، *" دليل الناقد الادبي"*، ط.3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- زكور، محمد، 2016-2017، *الرواية الافريقية ما بعد الكولونالية وتشكيل صورة الاخر*، دكتوراة، منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر.
- صالح، فخري، 2003، دفاع حار عن فلسطين وهجوم على تزييف الغرب، مجلة العربي، العدد: 541، ص 20.
- طرابيشي ، جورج ، 1997 ، *"شرق غرب (رجولة وانوثة) ، دراسة في أزمه الجنس والحضارة في الرواية العربية"* ، ط.4 ، بيروت ، دار الطليعه للطباعه والنشر.
- طرابيشي، جورج، 1988، "ماذا عن الفانونية" مجلة الحوار، العدد9، 43-44.
- الطوالي، مصطفي، 2014، "موقع الثقافة" http://ar.morocooworldnews.com/?p=57117
- عبد الله، إبراهيم، 2014، "التخيل التاريخي والتمثيل الاستعماري في العالم، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد: الثالث، ص 51.
- عتيق، مديحة، 2015، *" ما بعد الكولونالية"*، مفهومها أعلامها، اطروحتها، مجلة الأبحاث والدارسات العدد (8)، ص 4 – 6.
- عصفور، جابر، 1997، *" افاق العصر"* مهرجان القراءة للجميع، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- علا وشين، امال، 2013، "*ما بعد الكولونالية ضمن خطابات ما بعد الكولونيالية*"، ط.1، الجزائر، جامعة الجزائر.
- العلـــى، كـــاظم، "مـــن رمـــوز المـــرآة: غيـــاتري شـــاكرا فـــوري ســـبيفاك" htpp://www.alnoor.se/article?id=95150.
- عمار، محي الدين، 2018، "الاستعمار الثقافي والفكري وحظره على الشعوب، العدد 19741، مجلة الثورة اليمنية، ص 7.
- عمـر، ازراج، 2018، "نظريـة مـا بعـد الكولونالية: المقاومـات والنقـد منتـدى الأنثروبولـوجي والاجتماعيين العرب"htpp://anthro.ahiamontada.net/t778.topic .
- عمـــرو، أحمـــد، "القـــراءة النســـوية لمـــا بعـــد الكولونياليـــة رؤيـــة شـــرعية: htpp://www.ihoonlin.com/articles/view/17591.
- عيسى، أبراهيم، 2015، "*الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر*"، ط.1، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- عيشونة، سعيد، 2015، "النظرية ما بعد الكولونالية"، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد،1، ص 181.
- الغذامي، عبد الله، 2015، "*النقد الادبي: قراءة في الانساق الثقافية العربية*"، ط.3، المغرب، الدار البيضاء.
- الغزالي، محمد، "*الاستعمار احقاد واطماع*"، ط.4، القاهرة، نهضة مصر.
- فرانز فانون، 2015، "معذبوا الأرض"، ط.2، ت: سامي الدروبي، جمال الاناسي، القاهرة، مدرات للأبحاث والنشر.
- فضـــل الله، حامـــد، 2016، الروانـــي الطيـــب صـــالح فـــي عيـــون الالمـــان، موقـــع ســـودانيل: http://webcache.google.usrconetent/search?
- الفيـا، عبـد المـنعم، 2009، روايـة موسـم الهجـرة إلـى الشـمال والنقـد مـا بعـد الكولونـالي"، http://www.sudanile.com/index.
- ك. نلووف، كنوريس، ج. اوزيورن، عدد "القرن العشرين المداخلة التاريخية والفلسفية والنفسية"، ط.1، ت: إسماعيل عبد الغني، مني عبد الوهاب، اخرون، القاهرة، المجلس الأعلى الثقافي.
- لومبا، أنيا، 2007، "في نظرية الاستعمار الأدبية، ط.1، ت: محمد عبد الغني غنوم، سوريا، دار الحوار.
- ميشال فوكو، 2012، "نظام الخطاب"، ط.3، ت: محمد سيلا ، بيروت ، دار التنوير للطباعه والنشر والتوزيع.
- نايجل سي عبسون، 2013، "فانون المخيلة بعد الكولونالية" ط.1، ت: خالد عايد هديب، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- هومي بابا، 2006، "موقع الثقافة"، ط.1، ت: ثائر ديب، المغرب، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- واليا، شيلي، 2006، صدام ما بعد الحداثة إدوارد سعيد وتدوين التاريخ، د.ط، ت: عفاف عبد المعطي، القاهرة، رؤية للنتاج والتوزيع.

قائمة المصادر والمراجع الاجنبية

- Alice CHERKI: 2000, Frantz FANON, Portrait, Editions du seuil, Septembre, p245.
- Emmanuel kamgang: 2010 discours post-colonial et traduction de la littérature africaine subsaharienne après les années soscantes. Rémanence colonialistes faculté des études supérieures et post doctorales, university d'ottawa, cannada, p :10.
- Frantz Fanon: (1952) peau noire masque balancs, édition de seuil, p 46.
- Frederic Cooper, 2010 Le Colonialisme en questions, Théorisa connaissance histoire, traduit par Christian Jeanmougain, Ed Payot, Patis, p40.
- Hammadi, Lutifi, (2014), Edward Said; The postcolonial Theory and the literature of Decolonzation, European Scientific Journal, /SPECIAL/ edition, vp12, p 202.
- Rebet J.C Young, Postcolonialism a very short introduction, p17-18.
- Sec: peter childs and R.J Patrick Williams: an introduction to post-colonial theory London, New York. Prentice Hall, Harvester Wheatchaf. p11.

References:

يتم كتابة المراجع وتوثيقها وفقًا لنظام التوثيق APA (American Psychological Association)

Post-Colonial Theory

Ragaa Khaled Hamad Othman
Doctorate Scholar, Modern Philosophy Department
Faculty of Women for Arts, Science and Edu, Ain Shams University, Egypt
Ragakhild81@gmail.com

Prof. Dr./ Ramadan Bastawisy Mohamed
Professor of Modern Philosophy and Aesthetics-Department of Philosophy , Faculty of Women
Ain Shams University – Egypt
ramadanbst@hotmail.com

Dr./ Doaa Wagdy Mohamed Fahim
Lecturer of Modern Philosophy, Philosophy Department
Faculty of Women
Ain Shams University - Egypt
doaa.wagdy.m@gmail.com

Abstract

In the last decades of the twentieth century, the Western arena produced new literary and critical references, of which "post-colonial theory" is considered one of the most important. As a critical political theory and due to its position in the current discourse on neo-colonialism, it is the focus of attention of those working about thought and criticism. Based on that, this research follows the subject of “Postcolonial Theory,” which aims to present the main stations of the “theory.” By looking at the reality of the term postcolonialism, and review the terms associated with it, And trace the historical and cultural context of its emergence, and Review the most important knowledge bases, And highlighting its most prominent pioneers, The study relied on the historical, analytical and critical approach In our tracing of the emergence of the theory and understanding its aspects,We conclude from the above: The theory is used by Third World writers to confront Western centralization; By deconstructing colonial discourse, Monitoring the relationship between power and culture, Understanding the duality of East and West, and combating the policy of Westernization, Domestication, arrogance, and rejection of one dominant culture, The study recommended that postcolonial thought consolidate its position in the Arab and Islamic world; Calling for the expansion of his studies and choosing the most appropriate methods to confront colonial policies; And the constant awareness that the European obsession and preoccupation with the Third World is constantly being renewed.

Keywords: postmodernism, colonialism, postcolonialism, foundations, pioneers.